فردوس الكرخ

(يقظةُ أيَّام الطُفولةِ الأُولى)

الدكتور
عبدالستار الراوي

بغداد / الطبعة الأولى – ٢٠٠١ م

بسم الله الرحمن الرحيم



إيماءة أولى :

بصحبة الملك السومري المبجل

بدأت مغامرة الاسئلة .

وعند نخلة دار السلام الباسقة

وجدا الوطن

الفردوس

الخلَــــد

هتف الأثنان جلجامش والشيخ

من أجلك يا بلادي :

يستمر الوجود ..

ويتواصل الغناء .

إيماءة أخرى :

عند نهر الوطن
تتألق المحبة في الافئدة ،
وتنهض الأنوار في العقول :
ـ كلمةً طيبةً
ـ لمسةً حانيةً
ـ سلاماً جميلاً
فيجيء عزالدين ومليكة برفقة ؛
زينب وعزاوي ونجلاء ..
وأصدقائي الآتون من جهات القلب الأربع
ينضمون الى موكب الغد ،
من أجل الحقيقة ،
لاعلاء مجد الوطن ومقام الإنسان

في البـدء الكلمة

ـ ١ ـ

فردوس الكرخ :

ـ مملكة الإنسان ،

ـ قانون الحرية ؛ إرادة واختيارا

.. فالعقـــلُ :

ـ حقيقة الوجود

ـ جوهر الحياة ،

ـ الكلمة الأولى .

.. والعقل وحده ـ تأملاته وحركته ـ منح المكان ماهيته

الفردوسية ،عبر المحبة المستديمة التي تضم

موجودات الأرض .

.. من هنا ، فالكرخ في ذاكرة الطفولة ،

ـ إيثـــارٌ محض

ـ جدلية الخاص والعام

ـ الـ (نحن) أو الإنسان الكلّي ،

عندها ندرك سر العلاقة التبادلية بين :

ـ الضوء والوردة

ـ الماء والحياة ،

ـ الدربونة والكرخ ،

ـ الكرخ والوطن .

ـ ٢ ـ

الـ (نحن) قانون الكرخ الأول :

فالفردية الفاقعة اللون ، (الأنا) المنكفئة على شأنها الخاص أو (الأثرة) الخالصة ، منفصلة بالحتم والضرورة ، لا معنى ولا مضمون لها في لوحة (قيم) الدربونة ، لا تملك إلاّ التهافت حيال الوعي الحقيقي للـ (كل) .

والـ (نحن) بصفاتها الإيجابية المتماسكة ، لا تقبل القسمة الرياضية ، يتعذر تفكيك بنائها المتآزر ، ويصعب حتى على افتراض التجريدات الذهنية ، تصورها جزئيات متناثرة ، كل واحدة منها في اتجاه متباعد عن الأخرى . بالضد تماماً من (الأنا) ، فحين تتعين فرديتها ، فأنها تقصي نفسها بالضرورة عن (المحيط العام) ، وتصبح واهنة عائمة على سطح الوعي الزائف . وليس بوسع الفردية ، إلاّ أن تنطفيء ، لفقدانها الكينونة السوية . عندئذٍ فقط تستعيد عافيتها الأجتماعية لتنضم الى موكب (النحن) .

وطبقاً لذلك ، فأن الكرخ علمت بنيها بأن الانفلات من أسر (الاثرة) هو المقدمة الكبرى لأن يصبح الكائن البشري إنساناً سوياً ، بارتقائه الى (الايثار) النبيل الذي يفصح عن الوجه الوضيء للحياة .

.. وبهذه المعاني والدلالات ، يشيّد الكرخ فردوسه الجميل ، قولاً وعمـــلا ، كلمة وموقفا :

.. فالدربونة قد توقد النار تحت (قدر) واحدة ،

وتُقبل (زنكو) ، تلتئم حول صينية واحدة .

هكذا الـ (نحن) ـ يقترن القول بالسلوك .

فتصير الدربونة (إنساناً كلياً) ، في الأحوال والمقامات .

ـ المحبة الخالصة .

ـ تلقائية الاستجابة .

ـ التوق الى المعاونة .

ـ العفو والسماحة .

ـ المروءة ، النخوة ، الشيمة .

والدربونة من أول دار فيها ، حتى آخر بيت تحيـــا ، تنــهض فرحـــاً أو حزنـــاً.في ذات الوقت. وبقلب واحد ، الأحساس المتناغم الايقاع بـ (الوحدة)..

والجار في مفهوم الـ (نحن) ..

ليس فقط الجار السابع ،

فالجار في الفردوس الكرخي يحكمه قانون توقير الحرمات .

ـ ٣ ـ

ثمة قانون آخر يسري في الفردوس ،

المعيار الأول ؛ القيمة الكبرى للإنسان ،

إذ تذوي في (الدربونة) ، وتذوب :

ـ الطبقية ..

ـ العرقية ..

ـ الدينية ..

.. فليس ثمة إلاّ الاستقامة الانسانية .. واولى دروسها :

ـ الحرية .. قبول (الاختلاف في الـرأي) . وسـعة الصـدر فـي الحوار .

ـ ٤ ـ

الامتثال الواجب للكبار ، قانون يلزم ضبط السلوك .

فالآباء أب واحد ، لعموم الصبية والأولاد ،

والأم واحدة ..

تبجّل الأمومة مانحة الحياة .

وكأننا انحدرنا من بطن واحدة .

وظل التوق الى ارضاء (الوالدين) ، واحد من قدسيات جيلنا ..

ـ ٥ ـ

اذا كانت (زنكَو) زقاقاً ضيقاً موصداً ، فأنها في ذاكرة الصبيَ ..

ـ مساحة رحبة ، لا حدود لاتساعها ..

ـ تمثل ((اللانهائية)) .

ـ مركز الفكر والحرية .

ـ مفعمة بالدفء والبهجة .

وهذا وحده يفسر (خلود الطفولة) .

طبقاً لقوانيـــن العقل الطليـــق فـــي التفكيــــــر والتفســـير والتعليـــل والتأويل .

ـــ ٦ ـــ

ولعل أولى أوراق كتاب الفردوس .. الحرية ،

منذ البدء كان العقل مولعا بالحرية ..

فريضة الطفولة الأولى ،

لا شيء يعيق رفرفة القلب في الفضاءات الوسيعة ..

فالصبي لا يأبه بحتميات الطبيعة ،

متجاوزاً قوانين الفيزياء الغليظة ،

اللانهائية ، تمنحه قدرة فائقة على صنع عوالمه السعيدة ،

.. وكل خلية في الطفولة تصدر نشاطاً عجيباً ،

بنية وشكلاً . لا تتوقف عن الحركة ؛

جدلاً صاعداً مرة ، ونازلاً مرة أخرى ،

عقل يقظ ، يستولد سلسلة لا نهائية من الرؤى

المدهشة ، والمواقف المثيرة ،

.. فالحركة قانون الانتقال الحرّ من نقطة الى أخرى ،

من طرقات الفحامة الى نهر خضر الياس ،

.. وعلى ذات الخط الممتد من العين

الى القمر ، يحاول الصبيّ ضمّ الضوء في راحة اليد ،

ثمة يتنقل كالفراشة ، هنا .. أو يحط هناك .

خصوبة متناهية ، قد يحل في الحجر . أو يورق

عشباً في الجدار .. أو يطير ، اثر النجوم ،

.. أو يمشي فوق المياه ..

— ٧ —

واذ تملك الطفولة الارادة الحرة ،

فإن سنواتها العشر الأولى ،

تجعل عقل الصبي يكتظ بالاسئلة :

لـــــــماذا ..

كيـــــــف ..

والـــىٰ أيـــن ..

حواراً مع النفس مرةً ومع الآخر مرات ،

.. تتوالى عليه إيماءات الدهشة ازاء الظواهر ،

وأســـرار الحياة من حوله .

ـ تجذبه حركة الكواكب والأكوان الهائلة العدد والإتساع ،

ويؤرقه المصير .. ويحزنه الرحيل الأبدي للأحبة والأصدقاء .

— ٨ —

عبر الاشارات الفائتة . فإن فردوس الكرخ ،

ليس محض (يوتوبيا) خارجة على التاريخ ،

ولا هي (جنة متوهمة في (اللامكان) ،

أو جزيرة عائمة وسط المحيطات والبحار ،

.. إنه (فردوس) من لحم ودم .

(دار الإقامة) في قلب الزمان والمكان ،

أنشأه الكرخ دربونة إثر أخرى ،

وليست (زنكوَ) إلا واحدة منها ،

صارت دار (النحن) * .

(*) هذا الحال ينصرف الى عموم المحلات الشعبية الأخرى في الرصافة أيضاً .

ـ ٩ ـ

.. والفردوس الكرخي من قبل ومن بعد ،

ليس إلا صفحة من صفحات قمر الكرخ ،

يسعى الى بسط حقائق عصر الطفولة الجميل ،

دون أن ينأى عن الواقع ، أو يفارق محددات المسافة والزمن ..

والنص الذي يمتزج فيه الشعر بالكلمة وبالمرويّات ،

لا يوثق سيرة ذاتية للكاتب أو يؤرخ شأناً خاصاً

به .. إنه طفولتنا الأولى المفعمة بالصدق

والمحبة والبراءة .. والتي يضمها موكب الرفقة الطيبة ..

.. تذكرة للآتين من أجيال الوطن المفدى

وشهادة محبة لصبية زنكَو ، الموتى والشهداء والأحياء ،

أصدقاء العصر الجميل ، الذين تآزروا لألتقاط نجمة

الصباح ، ليوقدوا (الأنوار) في العقول ..

من أجـــل الغـــد ..

طهران / صيف ٢٠٠١

فاتحة الفردوس

ـــ ١ ـــ

في البدء

خلقَ الله الماءَ ، الحبَ ، فكان الكرخُ ،

قمراً أخضرَ يسبحُ في ماء العينْ

يُشرقُ في الروح .. وفي قلبِ الكونْ

إيثاراً للآخر .. إعلاءً للإنسانْ

حباً للناس ، كلَّ الناس ،

للأرض ، للوطن ، ولمجد الـــ (نحنْ)

منذ الأزلِ ونوارس خضر الياس تعدو ..

.. فوق القلب

وعلى جسر الكرخ .. ينتظر العشاق الفقراء

يتوالى عُرس الدم

فيُطلُّ من فردوس الخلد الشهداء

قيس الآلوسي

ومثنى حمدان العزاوي

والكرخية مهدية ..

وأخي سعد الراوي

يأخذنا الحال .. نعدو صوب العيد ..

.. (الجوبي) ،

وعلى إيقاع الدمام ..

.. ينهض من رقدته البسطامي ،

ويجيء الينا معروفُ الكرخي ،..

والسري السَقطي

وعلى رأس (الجسر) يخفق طير الشيخ جُنيّد

.. العشاق ، الفقراء .. الشهداء

والصبية من صوب (عكَيل) ..

ينبثق الفرح الغامر في محراب العشق

ويغني الحلاّج أشواق التوق ..

.. ومواويل الحزن الإنساني ..

وتــدور الدنيـــــا ..

ـ ٢ ـ

نأكل من خبز التنور (الحنيّهْ)

نبحث عن ناقة ضارى في خانات السعديهْ

وعلى مقربةٍ من مقهى (عريبي)

ثمة رجلٌ يقرأ وِردَ (الوَرْد) ..

.. آتٍ من أقصى الأرض يسعى

نحـــو الآتـــي ..

يبحث عن أيام الغد

.. قد يسترخي تحت السدرة في (المُلاّ)

أو يبكي نخلة حفصه .

ـ ٣ ـ

وُلِدَ الصبيةُ في نهرِ الضوءْ

منذ البدء .

كان الحبُّ قانونَ الكرخ ،

والإيثارُ تكوين أزليّ في وجدان الفقراء ،

ما أن يزعلَ أيٌّ منّا ، حتى يغفر أو ينسى

.. قبل مغيب الشمس .

تحت ظلال القمر الكرخي ..

لعبٌ ، أنسٌ .. دنيا ،

ألوانُ الطيفِ وحكايا ..

نركضُ كالخيلِ في الطرقات

حتى آخرَ ساعاتِ الليلْ

ما أنْ نتعب .. حتى ننهض

ونعودُ نغامرْ

نستقصي أخبارَ الكونْ

نقذفُ أنفسَنَا في نفقِ الخوفْ

ونجوسُ الظلمةْ

ونطوفُ الدنيا

والدربونةُ في (الكرخِ) بيتٌ واحدْ ،

ليس ثمةَ فصلٌ بين الجارِ والجارِ الآخرْ

إلا (الطوفه)

ـ ٤ ـ

يقتسمون رغيفَ الخبزْ

تأكل (زنكوْ) من قدر واحدْ

والماءْ .. الماء من جرّةِ (سُكنه) .

يأتي دُورَ الفحامةِ عذباً وفراتاً ،

والأم :

حفصة ،

حمـــدة ،

صديقة ،

ومليكه ..

أمّ واحدةٌ لعموم الصبيةِ والأولادِ

وكثيراً ما رضعتْ إحداهن وليدَ الأخرى

حتى صار الصبية في كون الفحامةِ ..

.. أولاداً وبناتٍ ، أخوانا

أدركتُ مجوّدةَ أختي

وزكيــه ..

الكردية أُمي ..

ـ ٥ ـ

هوذا فردوسُ الكرخ ..

فيضٌ من بحرِ الأنوار ..

إشراقة قلبٍ وتجلٍّ وجداني

زمنُ الكرخِ لا يشبه زمناً آخرَ في كلِ الدنيا ،

فالسنواتُ العشرِ الأولى .. كلُ العمرِ الفائتِ والآتْ

لحظاتٌ مفعمةٌ بالفرحِ الفطري ..

والصحبةُ في زنكَو ايثارٌ ومحبهْ ..

والدربونةُ بيتٌ واحدٌ

أيامٌ حلوهْ ..

وليالٍ لا تُنسى ..

ترقُد تحتَ القلبْ .

قمر الكرخ (*)

(*) قمر الكرخ جزء من السيرة الذاتية للمكان قيد الانجاز .

- ١ -

قمرُ الكرخ

يرنو صوبَ الله ،

قلب الدنيا ،

نقطة هذا الكون اللامتناهي

عطراً فردوسيا يملأُ أيامَ العمرِ ..

.. حباً ، شجناً ، وندى

تحتَ ظِلالِ القمرِ الكرخيِّ ،

.. نتجاذبُ نحنُ الصبيَة أطرافَ الخوفْ

ســـــالوفات :

ـ السعلوه

ـ طنطـــل

ـ والخنـــك

ونعيد ما قالته يوماً لنساء الدربونةِ ..

.. أمْ نزار المشمش ، المرحومة فطومه

قصةَ بئر يخرج منها مَلكٌ صالح ،

جميل الطلعــــهْ

بهيّ القسمات ،

يلبس ثوباً أبيضَ فضفاضا ،

يتوضأ ،

ويصلّي فرضَ الفجرِ ثُمَ يعود من حيث أتى

ينزل قاعَ البئرِ ويغيبْ !

ـ ٢ ـ

.. وصبيٌّ يزعمْ ،

ثمةَ مخلوقات مفزعة الأشكالِ والتكوينْ ،

تخرج من تحت الأرض حين يجنُّ الليل ،

تتوالد قطعاناً سوداً وتنانين

وتشق الأنيابُ الجدرانَ الصُمَّ ،

تجأر كالثيرانْ

تنقضَ الأصوات عصفاً .. زلزالا

حتى ينخلع القلبُ هلعا ..

يصرخ (رشّودي) فزعاً ..

نهرب .. نلقي أنفسنا في حوضِ الدربونهْ

يتعقبنا الظلُ الوحشيُ ..

فتضيع الخطوة منّا

ويشلّ الفزعُ الأقدام

قد تأتي أحدُ الصبية (سعلوه) ..

أو يتخطفنا (طنطل) ،

أو نسقط في قبضة (خناك)

نعدو صوبَ الضوء

نبحث عن ركنٍ وملاذٍ آمنْ

تغمرني أمي بالحب والدعوات !

ـ ٣ ـ

.. ونعود في اليوم التالي : نلعب :

الجُميّدهْ ،

الخِتيّــــــلهْ

(الحــــــاح) ..

نأوى في الليل تحتَ عمودِ النورِ

نلجُ المجهولاتِ ..

يجذبنا سحرُ الإيحاءاتْ ،

نتهامس :

حولَ الجنِ ، الأرواحِ ، الأشباحِ ..

وحجم الغيلانْ ..

نضفي أوصافاً ، ألواناً وخيالات ،

تعبيراً عن رؤيتنا الجوّانيه ،

نتجاذب ،

نتخاصم ،

نتناقض

بين الوهمِ والتصديق ..

والليلُ طويلْ ..

سمرٌ .. قصصٌ .. وحكايا

وخيالٌ يسري في آفاقِ العقلْ

حتى ينتصف الليلْ ..

ـ ٤ ـ

أستلقي فوقَ السطحِ .. وفراشِ الصيفِ نديّ
والطينُ الحُريُّ ينث عطرَ النعناعْ
وأحدّقُ بـ (النجم) .. اسري ..
يأخذني سحرُ الكونِ بعيداً .. ويفرُّ النومْ ،
وأُشاغل نفسي ،
فأُعيد قراءةَ مرئياتِ الليلْ ..
يجيء النومْ ..
.. ما أن أغفو حتى يأتيني الفزعُ الأكبر
أنهض مرتجفاً .. هلعاً ..

وأُخبّىء رأسي بين يدي ..

وألملم نفسي مذعورا ..

.. ثمة يأتيني النوم .

يتوالى الحلم .. كابوساً ..

يملأ ذاكرتي صخبُ الألوان والأصوات وضجيج

الأرجـــــل

يتحلّق من حولي أطفالٌ وصبايا ،

تحتشد الأيدي والنظراتُ والأنفاسْ ،

ووجوهٌ غابرةٌ آتيةٌ من خلفِ الزمنِ أو من تحت

الأرضْ

وصبيٌّ مشقوق الرأس يُحدّق .. يومىء بيدَيه

يصرخ في وجهي كالمجنونْ

يستنطقني عما ألقيتْ في البئر فجرَ اليومِ الفائتْ

.. أتبدّدُ ..

أشعر أن الأرضَ تميدُ .. تتفجّرْ

أو ثمةَ زلزال يتهدَّد أركانَ الحجره ،

تذوي أطرافي ،

تنحلُّ الصرخةُ في حلقي ،

ويغيب الصوتُ .. تُسفيه الريحُ رمادا ،

يثبُ الآتون كخفافيش الليلْ ،

يخترقون الجدرانَ ..

ينفرطون .. الواحد إثرَ الآخرْ ..

أستيقظ فزِعا .. مأخوذا ..

يملؤني الخوفُ ، وظلامُ الليلْ ،

أبحث عن أمي ..

تسقيني شربة ماء ..

فألوذ بحماها .

ضفاف خضر الياس

تقديم

ماء . طين . شمس . ونسيمات من هواء عليل ،

.. تنداح زوارق التوتياء .. وأخرى

مصنوعة من صفيح صدىء ..

وثالثة من خشب الجوز (بلام) جميلة التشكيل ،

وقد تأتي (كُفَّــة)

تتوالى (الدوبات) منفردةً ، و (متقاطرةً) .. تلقي

مراسيها عند شريعة النواب .

وعلى جناح مقهى (البيروتي) ، تخفُّ الأصوات ،

إلا من صياد يقفز فجأة . فرِحا ، وهو يلتقط

(الشِـــباك) !

زمنٌ آخرُ ينهضُ على شواطىء الكرخ ضوءاً ولوناً وحركة ،

عبر فضاءات رحبة تمتد من خضر الياس ، ثانوية الكرخ ،

دار النواب حتى الجسر العتيق (الشهداء) . يصنع الصبية

عند النهر حياةً مفعمة بالأنس النقي ، فنُلقي أنفسَنا في

(الشـــــط)*،

نشق مياه العصر الدافئة ، نتبارى ، نتقافز ،

نلعب بالرمل ونرشق المياه بالحصى ..

تصحبنا شمسُ الصيف وأسرابُ النوارس ، تجيء وتغدو

وقد ننزل النهر الواحد مرتين .. نترك وراءنا الزمن ..

قلقَ الأهل .. وننسى الجوع .

نُلوّن الحياة من حولنا ، مرحا ، غبطة ، صخبا وضجيجا ،

وما أن تنصهر الشمس ، وتنطفىء جمراتها في المياه ..

حتى تفتر الحركة ، وينطفىء الصخب ، وتحين العودة

الى البيوت ، فنخف نهرول صوب الفحامة ..

- ١ -

عقب (الصرفه)

ننزل نحنُ الصبية (خضرَ الياسْ)

نقذف أنفسنا في الشطِ ..

ونلوذ بأطراف ال

نهرْ ..

نسبح في (الكَيش)

خشية أن تطوينا (الروجاتْ)

أو تجذبنا (السوَيرةُ) نحو الأعماقْ ..

نستلقي فوقَ رمالِ حبيب العجمي

أو نلقي (الشصَ) تحتَ الجسرْ

نرقبْ أسرابَ (نعيج الميْ)

و (نكردش) شيف الركَي

ونخفُ نُهروِل

صوبَ المسجدْ

لنُصليِّ قبلَ فواتِ الوقت

فرضَ المغرب في (القُمريه) .

ـ ٢ ـ

شـــــمسٌ وســـماء ..

طيـــنٌ .. رمـــلٌ .. مـــاء ..

الطير النورس ، والجسر ..

بَلَمٌ أخضـــــر ..

ومياهُ الشط

الروجات .. (السوّيرات) ..

صوتُ النهر ..

طعمُ النهـــر ..

لـــونُ المــــاء ..

ضَحِكٌ .. لَعِبٌ .. رمل ..

وضجيجُ الصبيةِ يملأُ خضرَ الياس ..

نتراكض عند (الجرف) عرايا ..

نتبارى

نقفزُ .. نطفو ..

نصنعُ من طينِ الصلصالِ لُعَباً ودُمى ،

ومن الرملِ قلاعاً وقصوراً ..

ما إنْ تأتيها الرهجات

حتى تذوي .. تتداعى .. تسقط ..

واحدةً إثرَ الأخرى

وشموعٌ تتثاءب .. تغفو فوقَ الماءْ ..

غـــزلان البـــر

غزلانُ البرّ ، يعاهدن الشيخ حبيبَ العجمي الوفاء
بنذورِ هن

ويجيء خميسٌ إثرَ خميس .. تأتي العذراوات حاملات
القرابين ،

وهن يهتفنَ
((يا حبيب العجمي . جينا نزورك .
جِبنالك شمعة بطولك))

ـ ١ ـ

يأتينَ قبلَ رحيلِ الشمس ..

ويُطفن حولَ ضريحِ الشيخِ العجمي ،

يوقدنَ في أروقة المرقدْ

عيدانَ الصندل والكافورْ

ثمةَ يُودِعْنَ الماءَ الحلم

ألواحاً من خشبِ الجوزْ

ملأى بالشمعِ الأبيضْ ..

تجذبها روجاتُ الشط ،

يميناً مره ..

وشمالاً أخرى ،

حتى يأتيَها التيارْ

ـ ٢ ـ

تطفو ألواحَ الشمعِ فوق القلب ..

تنداحُ بالضوءِ وبالعطر عند ضفافِ النهرْ ،

تحمل كلَّ خميس ..

نـــذْراً

حُلُماً أخضرَ ... ودعاءً

أمنيةً كبرى تنبض ، تحيا ، في قلبِ العذراواتْ

أمراً مكتوماً في صدرِ امرأةٍ ما ..

قد يأتي الغائبُ يوماً ما ..

يحمِلُه شوقٌ ، حبٌ ، ذكرى ،

.. أو يَهبُ الله العاقِرَ وَلَداً .. أو بنتاً ،

أو يخفق قلبُ الطرَفِ الآخرِ بالحبْ ،

والعانس تأتي (العجميَّ) مراراً ..

تنزلُ حوضَ النهرِ كلَّ خميس ..

تبسط كفَّيها بالحناءِ والآسِ والشمع ،

وتكفكفِ دمعَ العينْ .

تحلُمُ بالآتي .

١٩٩٧

سحر المكان

في فصلِ الصيفِ .. وعقبَ صلاةِ المغربِ ، ترتقي

دربونة (زنكَو) ، السطوح ، فرارا

من حَرِّ القيظِ ، لتجدد انشغالات النهار ، وتواصل

رحلة السمر

حتى ينطفىءَ القمرُ ، أو تذوي قناديلُ الزيت ، وتنامَ

الفوانيس !

* * *

- ١ -

الأسطحُ في الكرخ دُنيا أُخرى ،

فالسطحُ ملاذٌ عذبٌ في ليل الصيف

عقب صلاة العصرِ يبدأ رشُّ السطح ،

وعند المغربْ ،

تصعدُ أبخرةُ الماء ،

تعبقُ رائحةُ الطينِ .. نعناعاً ورياحينْ ،

وعلى الشُرُفاتِ ينامُ الطيرْ .

ـ ٢ ـ

نحنُ أولادُ الدربونهْ

تملؤنا الحريَّـــه ..

يستغرِقنُا ضوءُ (الكمريَّه) ..

نتبارى ،

نتصارعُ .. كالديكهْ

نتقافزُ عَبْرَ الفُرُشِ الممدودة ..

أو نجلسُ فوقَ (الخُصرانْ)

نتبارى في (عدِ) النجمات ..

.. أو نعدو إثرَ ظِلالِ الموجودات ..

نبحثُ عن سرِّ المجهولات ..

ونلوذُ بأحدى (الجدّات) :

فاطمـــــةْ ..

حمدهْ المحنه ..

تـــــوره ..

نستعطفُ إحداهنَّ أنْ تحكيَ قصهْ ،

أو تروي شيئاً .. يقطعُ آمادَ الليلْ

تمتد البُسُطُ الباليةُ اللونْ ..

نأكلُ (اشيافَ) الركَي الباردْ

فوق (باريةِ) القصبِ الصفراءْ ،

أو نشربُ بعد الأكل القُنداغْ

أو (شايَ عروسْ) !

- ٣ -

أهلُ الدربونة مجتمعون :

من أولِ بيتٍ في (زنكو) حتى آخرَ جارْ

هوذا أبتي يدعو .. يتهجّدْ

وتجيء الأصواتْ .. كلُّ الأصواتْ ،

نعرف ذبذبةَ الصوتِ إيقاعاً .. إيقاعاً ،

ترنيمةُ حفصه ..

ودعاءَ (الحجي) مشمش ،

وصُراخَ رشيد ..

ورفيفَ الطير ..

حتى نحنحةَ (بريسم) ..

ـ ٤ ـ

الأسطحُ في (الكرخ) سطحٌ واحد ..

ليس ثمةَ من حاجز ..

أو جدرانٍ تعزلُ جارا عن جارِه

وكثيراً ما يجري بين الجيران حديثٌ وحوار

قد يدعو بيتٌ بيتاً آخرَ

أو تأتي عائلةٌ تأكلُ معنا ..

أو يجتمعُ الكلُّ على صحنٍ واحد

وكثيراً ما تزدهر التعلوله !

ـ ٥ ـ

السطحُ في الزمن الفائت :

ليلٌ .. ســمرٌ .. قصصٌ ..

وحديثٌ عذبٌ بين الجيران ..

يتناول فيه الآباءُ شؤونَ الدنيا ،

يمتد الوقتُ .. حتى ينأى قمرُ الكرخ .

والتعلوله ..

تبسطُ جسرَ الودِّ ..

النسوةُ والصبيةُ ..

والآباءُ في شُغُلٍ شاغل ..

أبتي يتحدثُ عن أخبارِ الحرب ..

وإبراهيم ..

مهمومٌ بالتموين ..

الكِسار ..
(الأسلحة والأطفال) !

نحن الصبيةَ

نبحث دوماً عما يُشغلنا ،

يجعلنا نحيا ،

يمحو عنا ،

دائرةَ التكرارِ ، وتوالي الأيام ،

فنُحرك ذاكرةَ الفحّامه ،

صوبَ المنصوريه

.. نبدأ معركةً كبرى ،

تتلوها أخرى ،

وهجوماً إثرَ هجوم

تنبثقُ الفِكرةُ في عقل الصبيه

يجري في اللَّيلِ وضعُ الخطَّه

يتآلفُ صَفُّ الفَحَّامة في اليومِ الآتي ،

كلٌّ منَّا يحمل (معجالا) ..

تبدأُ رحلتُنا نحوَ طرَفِ الدنيا ..

.. مستشفى (الغزْل)

نهتفُ .. ونُردِّدْ :

((إحنه الفحّامة الدحّامه

بيركْ منشورْ فحَّامه)) ..

نَنقضُّ على فتيان المنصوريه ..

بـ (المِعجالِ) ، الحَجَرِ .. (المصياده)

يمضي الزمنْ ..

ينصرفُ الوقتْ بطيئا ،

والحربْ دائرةٌ بين الطرَفين

تنهزمُ الفخَامةُ مرّه ..

وتفوزْ بالنصر مرّه ..

وإذا حلّ التعبْ أو جَنّ الليل ،

يختبىءُ الصبيةُ في (التلّ الاحمر) ..

ونلوذُ بظِلِّ النَّخلِ وأفياءِ الدفلى .

صندوق الدنيا

عَبْرَ فتحةٍ ضيِّقةٍ ، أطلَّ الصبيةُ على خبرةٍ جديدة ،

يومَ عرفنا (صندوقَ الدنيا) ، امتلأنا بــ (حَمِيَّةِ)

الفرسان ،

وأقتربنا من أحزان العاشقين ،

وأحببْنا التأريخَ حُبّاً جَما .

تنمو معرفَتُنا بــ (العالم) عَبْرَ الدهشةِ ، المتعه ،

نكتشفُ ظِلاً (للمجهولِ) قبل (تجربةِ)

مشاهدةِ أوّلِ فيلمٍ في سينما (قدري) .

((تفرّجْ يا سلام ..))

هكذا يبتدىء الراوي ، جُملَتَهُ الأولى .

يجتذِبُنا (صندوقُ الولايات) يملؤنا إبهارا ،

نستغرقُ في (الحركةِ) الداخليةِ ، ينبسِطُ الشريط الورقيُّ (المُصَوَّر) ،

فننسى الزمنَ والأين ،

ثمةَ سِحرُ (الفُرجة) يسري في أوصالنا ، نتدافع بالمناكب على (الفتحة) المُدهشة ،

ننفذُ الى ساحاتِ الوغى ومواقع الملاحم ، نصرخ .

نصيح .. (هيا يا عنتر)

وعندما يجيء قيس .. ينادي ليلى .. نُشفِقُ على إنتظاره ..

ويسألُ الصبيةُ .. متى تُطِلُّ ليلى ؟!

* * *

ـ ١ ـ

.. وعرفنا أوّلَ معنىً للتأريخ ،

يوم أقتربَ من دربونتنا الأبطالْ

فولعْنا بسيرَ الفُرسانِ الشُّجعانْ ،

وسمعنا قعقعةَ السيفِ ، وصهيلَ الخَيلِ ..

.. وصوتَ الرُّمحِ ورنينَ الدرعْ ..

((تفرَّجْ يا سلام ..))

- ٢ -

هوذا صندوقُ الدنيا ..

كل الدنيا تأتينا ، قصصاً وملاحمَ .. ورماحْ .

تبسطُ أحداثَ التأريخِ ..

وحكاياتِ الزمنِ الماضي

((صندوقُ عجائب ..))

حتى كدتُ أظنْ ..

. أنَّ العَالِمَ خَرَجَ من هذا الصندوقْ ،

أو أنَّ ابا زيدٍ يحيا أو يرقُدُ فيهْ

ونُطيلُ النَظَرَ ..نرقبُ ما يجري من أحداثٍ ومشاهدْ

عَبْرَ حديثِ الراوي :

((تفرَّجْ يا سلام .. صندوق ولايات)) !

يجذبُنا حدَّ الغبطهْ ..

ويطوفُ بنا مُدناً وولاياتٍ أخرى

نبحث عن خيمةِ عبلهْ

نترقب أنْ يأتيَ عنترْ ..

يحملُ في يدِه سيفاً ..

المغامـــرة

على ضفاف الاربعينيات ، تشرقُ الذاكرةُ بمغامرات الطفولةِ الأولى ،

فتُطلُّ أيامُنا العذْبةُ من وراءِ الزمن ،

.. يوم أتخذ الصبيةُ قرارَ قهْرِ الخوف ،

لاكتشافِ (الجعيفر) وما وراءها .. سمِعْنا عن (المنطكة) وسحرِ المكان ،

عَالمُ النخيلِ غابةٌ وارفةُ الظلالِ ، يجري النهرُ على ذِراعِها الأيمن ،

فنشمُّ عَبَقَ (الطَلع) ، ونلتقطُ التمرات ونجوس ضفافَ دجلةَ جذلين ،

نُسابِقُ الطيورَ ، ونطارِدُ العصافير .. تَبهرُنا فِراشاتُ

البساتين ..

وقد نعبثُ بـــ (شقوق) الحوائطِ الضِخام ،

فتنفجرُ في وجوهِنا (كورةُ) الزنابير ،

نمدُّ أعناقَنا جهةَ (الجسر الحديدي) ، نرقبُ

قطاراً فائتاً ، أو آتياً .

وقبالةَ (المنطكة) وعلى مقربةٍ من مشارفها ،

يختبىء (الخنْاك) الذي جئنا لتحدِّيهِ أو لأكتشافِ

مخبئِـــــــــــهْ .

* * *

ـ ١ ـ

نستذكرُ قصصَ الليلِ تحتَ ظلالِ قمرِ الكرخ !

.. ونكادُ نذوبْ !

إذ قد يأتي الآن (الخنّاك) ..

.. فنعودُ من حيثُ أتينا ..

يملؤنا هَلَعٌ وحشي !

ما أنْ تمضي ايامٌ .. حتى ننسى شبحَ الخنّاك ،

ونعودُ نغامرُ ثانيةً ..

.. نتفيأُ بــالنخلِ ، أو نلتقط التَمْرات ..

نعزم أنْ نمضي ..

نتحدى أرضَ الأشباحْ ..

تحملنا الأشواق ، والريحُ وحبُّ المجهولْ

واجتزنا قوس الجسرِ .. ونفذنا

حتى جئنا (بُراثا) ..

آوَتنا سِدرتُها الكبرى ..

وضحِكنا .. صفَّقْنا فَرَحاً ، طربا .

واجتزنا خَطَّ الخوفْ

لكنَّ الوقتَ (عزّ الظُّهْر)

- ٢ -

وأقترب الصبيةُ من سور بِراثا

وازددْنا في تلك الرحلة علْماً بـ (الموتْ)

هي ذي مقبرةٌ أخرى ..

رابعُ مقبرة في صوبِ الكرخ ..

تل أحمر ، والشيخ جنيد ،

وهنا يرقد أعلامُ الكرخْ ..

وهنالك في (التل الأحمر) أبطالُ قمرِ الكرخْ

من أطرافِ الفحّامةِ والسعديةِ والفَلاحاتْ

.. براثا ..

تطوي تربتُها أسماءً كبرى

يرقد في جَنَباتِ الأسوارِ وتحتَ ظلالِ الدفلى :

الفقراءُ . والعُشّاقُ .. والأعلامْ .

الدار الأولى

ـ ١ ـ

ذكر الناسُ من أهل الفحّامة قصصاً وحكايا ..

.. عن بئرِ البيتِ ، وسمِعنا عنها أمراً عَجَبا ..

فاذا ما ألقى أحدُ الصبيةِ شيئا ..

أو أسقطَ حَجَراً فيها ..

.. هتف الأهلُ بصوت واحدْ :

ـ ((لا تعبـــثْ ..

فتُدنِّسَ بئرَ البيتِ الطاهر ..

خشية أن يحتجِبَ الخيرُ وتزولُ البَرَكه))

ـ ٢ ـ

ثمة حوشُ البيت ..

وطيورُ (الكاظِم) أوقاتَ العصر ..

تحطُّ .. تثِبُ .. تأتي (حِبَّ) الماء

أو تعدو في رَحَباتِ (الطَرْمه)

رفرفة (الفُختيْ) فوق (الفرشي) ..

تشدو ترنيمةَ حُزنِ الدنيا ..

(ياكوكتي .. وين أُختي ؟!)

تتوالى الاسئلة الكبرى في وقت العصر :

(ياكوكتي وين أختي) ؟!

أوَ يَمضي الطيرُ الفُختيُّ كلَّ العُمرِ .. يبحثُ عن سرِّ

الأيـــــنْ ؟!

مَنْ يدري مَنْ ؟!

ـ ٣ ـ

أسألُ أمي عن سرِّ الحُزنِ في نَوحِ الطيرْ ؟!

ولِمَ (الفختيُّ) يختارُ هذي الدارَ دونَ سواها

يأتينا وقتَ العصرْ ..

ويحط فوق (الحِب) يبكي .. يشدو

يسألُ عن ورقاءَ ..

يسأل .. يسألُ ..

حتى تغربَ شمسُ الكرخْ ..؟!

.. فيرفرف بجناحيه .. ويطير بعيدا ..

وتلملِمُ أُمي اسئلتي في معنىً واحد

ـ الطيرُ يأنَسُ هذا البيتَ الآمنْ ،

فيجيء إلينا أوقاتَ العصر ..

مقهى عريبي

* المقهى قائم حتى اليوم عمره قرن من الزمان .

.. ما إنْ يَلِجَ الفتيةُ في العصر المقهى ،

حتى تتّقدَ الأشواق ..

وتدور العينُ ما بينَ القلب والجدرانْ ..

يلتقط الآتي خفَقاتِ الأزمانْ ،

يُبصِرُها باليةً في صدرِ المقهى

أستشعرُ قَدميَّ تغوصانِ في قاعِ الأرضِ الاولى ،

ينبجسُ الماءُ ..

وأكاد أشمُّ رائحةَ الطينِ الحُريَّ

وعلى مقربةٍ من بابِ الخانْ

يسترخي (الشيخُ محمد)

يقرأ (وِرْدَ) العصر

وابي يُلقي بـ (النرد) مساءَ الجُمعهْ ،

يُجالِسُه في ذاتِ التخت (عَبْدُ الله الكاظم) ..

وجميلُ المشمش ..

ويُدَخِّنُ حتى آخرة الليل (الناركَيلهْ)

.. في رَمَضان يزدهِرُ المقهى ،

يبدأ عصرُ الأُنس ،

تلتئم الفحّامهْ

دربونةُ زنكو ، والسعديهْ ..

والطمّةُ .. وجميلهْ ..

والفَلاحَاتْ

يتبارَوْنَ بلعب الصينيهْ ،

أو يُمضونَ (التعلولة) ..

في بحثِ عن (عظْم ضائعْ) ..

الأيدي ممدوداتْ

مَنْ يلتقط (المحبس) ؟! مَنْ ؟!

أو يحزرُ في ايِّ الأيدي يختبىءُ الخاتمْ ؟!

في خاتمة اللعب ..

نأكلُ نحنُ الصبيةَ ..

بقلاوةَ (حجي جوادْ)

ويطولُ بالناسِ الأُنسْ ،

حتى يقرع طبلُ السَّحَرْ !

ليلة الرحيل
الى كوكب الهوى

.. هل ثمة مقاومة ، أو إختيار

للرفض ، ام أن (الرغبة) ، أمر حتم ؟!

.. فلا مقاومة تنفع ، ولا اختيارٌ يحول

دون استبدال الواقع .. وليس الرفض

الا عناداً طفولياً ..

ويبقى الصبي يقاوم حنين الطرقات ،

وصمت الليل ، ونشيج الأزقة ،

ودفء (زنكَو) .. ورحيق الرفقة ،

ومرابع العمر الجميل .

.. ويكاد رأسي الصغير ينفجر عناء !

لمَ يُشقينا الزمن ؟!

فيعذبنا ويبكينا ؟!

حتى تشق علينا الرحلة ؟!

ويستحيل القبول ؟!

يئن قلبي تحت وطأة الأسئلة ؟!

لماذا ؟! كيف ؟! والى اين ؟!

لِمَ ينخذلُ اختياري على هذا النحوِ القاسي ؟

فأنزل عن حريتي ؟!

وعن رفقتي ، أترابي ، أحبابي ،

لعبي وموجوداتي ؟!

لِمَ يغادر الصَّبيُّ بيتاً وُلِدَ ونشأ في رحابِهِ ؟!

تلك اللحظة (العُمر) الغارقةُ بالمطر

والشجن والدمع ،

لحظة فاجَأنا ابي أن نحملَ متاعَنا في الحال إلى عربة

(اللوري) ، إرتحالاً الى بيت آخر ، يقع في أقصى الكون ،

في كوكب (الرصافة) ، البعيد !

لم تغب عن ذاكرتي تفاصيلُ اللحظة ،

أو تنأى جُزَيئاتها حتى الآن .. بعد أن

احتشد قلبي بمرئيات الرحيل وعذاب الفراق

وكيف أن مشهد الوداع في تلك الليلة

الشتائية القصية والحاضرة معاً ،

تحول الى موكب من الأحزان المهيبة كما

لو أن (الفحّامة) ، تُشيِّع إنساناً عزيزاً عليها في

ذلك المساء المفعم بالسخاء الإنساني وكأني

أودع وجودي كله في المرابع العذبة .

.. ولئن تنقّلنا بين الأزمنة والأمكنة ،

.. فأني لم أجد مقاماً هنيّاً ،

إلا في (الكرخ) ، ذلك (الصوبْ)

الذي اختطف قلبي ، حُبّاً آسِراً ،

وشوقاً مستديماً ..

.. وأن الكلمة واللوحة ، والفكرة

هي كل ما أملك إهداءه الى منازلِ الضوءِ الحانية ..

ولعل مُثل زنكو العظيمة . الوداعة ، البساطة ،

المودة ، السماحة ، المحبة للناس جميعا ،

تشكل جزءاً من نظرتي للعالم ورؤيتي :

للعقل والحرية والإنسان !

فقد زودتني خبرةُ المكان الفسيح ،

الذي يبدأ بـ (الخاص) ويرتقي الى (العام) ..

من (الدربونة) المفتوحة على أُفق (الفحامة) ..

(الكرخ) .. إلى الوطن كُلّه ..

.. زودتني هذه الخبرة بفضيلةِ الإتساع ..

والامتداد عبر حركة العقل إلى العالم

أو (الكون الإنساني) ، دونما حدود ، وبلا

قيود أو محددات مسبقة .

حيث الإنسان وحريته ، فكراً ، أحلاماً ،

هموماً ، وأماني .. وأن وطأة (الجُزئيَات)

الذميمة ، لم تحجب رؤيتي المتفائلة للحياة ،

فجماليتها المتألقة بالخير العام والحرية الإنسانية ،

تفوق الصفات الهابطة ..

وأن العقلَ المستنير قادرٌ على إزاحتها

وتخطِّيها ، ليس على الطريقة الفردوسية ، أو عَبْر

تفاؤلية (مباشرة) .. بل عَبْر مبدأ التكافؤ ، الذي

يقضي بأن لكلِّ عقلٍ مقامَهُ ، في تشكيل منهجه واختيار

فِكريَّاته ومواقفِهِ وحقِّه في الدفاع عن آرائه ، عبر الحوار مع

الآخـــــــر

.. حتى يأتي الطرفان إلى كلمةٍ سواء

.. ولاء للمنهج العلمي في المناظرة والبحث ،

وإنشاء النتائج .. وبهذا القدر من الإخلاص

الموضوعي للحقيقة ، فإن مقولة أبي عمرو

الجاحظ (١٥٠ ــ ٢٥٥) الشهيرة

((إن المختلِفينِ كلاهما على صواب)) .

من شأنها أن تمنح (الفكر) البشري نضارتَهُ

المتجددة .. فتطفىءُ الشرَّ الذميم ،

وتنهض بالإنسان إلى مقام الحرية ،

ومن بين استقصاءات العقل وحركته المثابرة ،

تتسع دائرةُ الخيارات ، وتمتد رقعةُ الضوء ..

فتتعدد الرؤى ، وتتنوع المشاهد .. وتتوالى

القراءات المبدعة للحياة والمستقبل ..

.. عندها نُشيّدُ عمارةَ الواقع ، وعقلانيةَ الحاضر ،

صوب الغدِ الآتي .

فقد علّمتنا (زنكَو) .. الحرية ..

فأصبح الآخر جزءاً متمماً للـ (نحن) ، متصلاً بها ،

وليس طرفاً منفصلاً عنها ..

فهوية الإنسان وجدانه العقلي ،

لا دينُه أو عرقُه أو عشيرته أو طبقته التي انحدر منها ..

وعلّمتنا (زنكَو) أن الفقراءَ هم أحبابُ الله ، وأبناءُ الحرية ..

.. مرة أخرى ..

نستعيد ليلة الشجن الإنساني ،

حتى أصبح (الوداع) ، أي وداع من أعظمِ أحزانِ الدنيا .

. فرفقاً بقلبي أيها الأصدقاء .

.. وأنا أستعيد ذكرى (اللحظة) ..

فالكونُ الكرخيُّ ذو الشمائلِ الجميلة ..

يظَلُّ حاضراً في الذاكرة والقلب ،

عَرَفْنا في ظلِّه هناك ،

الحقائقَ الأولى مبسوطةً في الزقاق ،

والدربونة .. والطَرَف .. والمحلَّة ..

وعلى شواطىء خضر الياس

وشريعة النواب .. وحبيب العجمي ..

ومن بين نسيجها الإنساني المتماسك

إنبثقت قوانينُ الإزدهار النفسي ،

وجدليةُ الأرضِ والإنسان ،

.. ولأنَّ الحزنَ الإنساني هو أرقى

مُعطيات العقل ، وأعظمُها شفافيةً وتأثيراً ،

فأن عذابَ الفُقدان ،.وآلامَ الرحيل ، وأحزانَ الوداع ،

هي اللوحةُ الفِطريةُ الصادقة التي تشتق من جذورها العميقة ،

الحريـــــــة ..

أن تختار الزمن ، المكان ،

حرية الإرادة ، فتصميم الفكرة

وأن تُعلي شأنَ الذات في الاختيار

بمنأى عن الحتميّات الساذجة

أو الإنتهاك غير العاقل للإرادة الإنسانية

وأزاء حقيقة (لا أنا من غير الآخر)

فأن الـ (نحن) هي الخاتمة الضرورية .

لتخطي وعي الفرديةِ الزائف .

حيث ينبسط الضميرُ العام مقابلَ العاديات

الدخيلة .. وهو ما عبرت عنه (زنكو) الدربونة

(الفاضلة) في أيامها الفائتة .

* * *



ليلـة الرحيـل

ـ ١ ـ

ماذا يجري في هذي الدنيا ،

حتى ينأى الإنسانُ عن رفقةِ عُمرهْ

يسقطُ في التيهِ .. وحيدا

يُصبحُ مغترباً في هذا العالم ،

يتخلى عن حريته .. موجوداتهِ ،

صحبتِهِ .. أترابِهِ ؟!

عن بيتٍ وُلِدَ فيه ..

ماذا يحدث في دربونة (زنكو)؟!..

ماذا يجري يا ابتي الآن ؟

حتى يأخذنا في هذا الزمنَ التيهُ

يُنسينا فرحَ السنوات الأولى ،

نعدو في طرقات لا نعرفها قبلَ الآنْ ،

يا أبتي ..

لِمَ نرحلْ عن فردوس الكرخ

ونفارقُ هذي الأرضْ ،

ننأى عن دربونةِ زنكو ؟

لِمَ نَرْحَلْ يا أبتي

في هذا الليل الموحشْ ،

في عصر البردْ ..؟

أسألك الله يا ابتي ..

أن توقف هذي المأساةَ الآنْ ..

ـ ٢ ـ

شجنٌ يعتصرُ الكونُ يزلزلُه بيتاً ، بيتا ،

ينتفضُ القلبُ ، يصرخُ جَزِعاً

ويفيضُ الدمعُ من عينيَّ سخيا ،

الغصةُ في حلْقي تخنقني ..

وتضيق علينا الفحامةُ ..

فالحزنُ عظيمٌ ..

يتعدى الألفاظَ ، الكلماتْ ،

حتى اللغة عاجزة عن وصفِ الآلام ..

ونشيجِ الجدرانْ !

يا طيرَ الفُختي .. يا طيرَ الكاظم ،

خُذْني فوقَ جناحِكَ ، وانأَ

في جُزرٍ أخرى ..

لا تعرف أسفاراً ، ووداعا ،

أتشاغلُ عن صحبي ..

أتساءلُ عما يجري من صَخَبٍ حولي

قلبي يسقطُ في زنكو

أركضُ كالتائهِ في الدربونة ..

يملؤني شجنُ الترحالْ ..

ـ ٣ ـ

هل أزِفَ الوقتُ وحانَ الوعدْ

أم يأتي الله بمعجزة في هذي الساعة

يوقِفُ هذا المشهد ؟!

ويعودُ إلينا الزمنُ الأولْ ؟!

.. أحملُ أيامي ، أمتعتي ، لُعبي .. مأثورات الليلِ

وحديثَ الصبية ..

ارقى سطحَ الدارِ ..

ابحثُ عن شيءٍ ما .. عن ذاتي ..

أبحث عن نجماتِ الليلِ السبعْ .

عن قمرِ العُمرِ .. قمر الكرخْ .

أكلَتْهُ يا ابتي (الحوتةْ) ..

ـ ٤ ـ

برقٌ .. برقٌ

رعدٌ .. رعدٌ

وغيومٌ سودْ

تتداعى صورٌ أخرى ،

توقظُ ذاكرتي ..

ايامَ الصيفِ .. الشَّطِ ، المُلاَ ، (المعجال)

لحظات السمر الليليّ

وندى أيامِ الدربونهْ

وحكايا جدَّتنا العذبهْ

.. صبحي ، يحيى ، أُختاي .. وأنا

تأخذنا فاطمةُ بين يديها الحانيتين ،

للنهرِ والبر والزمنِ النائيْ ،

وتجولُ الليلَ بنا ،

وتطوفُ بحكايتها الدنيا ،

بريّاتِ موحشةَ في أطرافِ الصحراءِ

نلجُ الكهفَ الغائرَ في جبل (الجنِ) ..

.. وبيتَ الشَّعر ، وخباءَ البدو الفقراء ..

ونجوسُ رفقةَ جدَّتنا البريةَ ونشمُّ نسيمَ القداحِ ..

يأتينا من بواباتِ الشامْ .

ـ ٥ ـ

وأُطِلُّ برأسي في البئر ..

أستذكرُ كلمات المرحومة فطومة ..

((من يدري ..

قد يأتي المَلَكُ الصالحُ هذي اللحظة ..

وقُبالةَ تنور الدار المُطفأ ، كومُ رمادٍ

وهنا ، كانَ الرجلُ الضيفُ بريسمْ

يتوضأ ، ويصلّي ..

أمضى أعواماً معنا ..

يُسْمِعُنا

قَصَصَ الماضينَ الموتى

ويحدثنا عن تأريخِ الكرخْ

يروي ايامَ صباهُ الأولى في الدربونهْ

تجذبني الرازونهْ

أُفقاً مفتوحَ العينِ على حوشِ الدارْ

إذ كانت حمدة المحنهْ

تُلقي عَبْرَ الكوَّهْ ..

حَبَّاتِ الزعرورِ ، والمصقولِ ، والشكراتْ .

ـ ٦ ـ

يرنو الصبيةُ قمرَ الكرخ

.. وزهير الحفصةَ ..

يبكي ويُتمتمْ ..

فتضيعُ الجُمَلُ الأولى ،

وتنوء بالحزنِ الكلماتُ

يسألني : هل ثمة عودٌ آخر ..

أو لُقيا ، تجمعُنا ايامَ العيدْ ؟!

أمْ أنَ الرحلة عَبْرَ الجسر تطوينا ..

.. خلفَ الدنيا ،

والدربُ طويل ..

والزادُ قليل ؟!

ويجيء فتى الفحامة مزهرْ

يهمس في أذني ..

هل يؤوينا زمنٌ آتَ ..

.. أم أن الدارَ قصيّة ..

.. والدربُ بعيد ؟!

ثمةَ رشّودي .. أرقبه ينأى ..

يتلاشى في قعرِ الدارِ وينوبُ ..

لِمَ ؟! كيف ؟! أو أين ؟! ولماذا ؟!

اسئلة حائرة كبرى

تُوقِظُ عصرَ اللحظةْ ..

تحملُ كُلَّ الدنيا ..

ـ ٧ ـ

تحتَ زخات المطر الليليّ ..

ترقى أسرابُ الطير ..

شُرفاتِ الدربونةِ ..

تشدو .. تنتحبُ .. تخفقُ في قلبي ..

وأعودُ أسأل أبتي :

لِمَ يحدثُ يا ابتي هذا ..؟

ماذا يجري في الكونِ الآنَ ؟.

وَهمٌ .. حُلُمٌ ..

أمْ مــــاذا ؟!

هل أزِفَ الوقتُ يا أبتي ؟!

هل انسى ايامي .. أحلامي ؟!

أين المُلاَ .. الشطُّ .. وحكاياتُ الليل ؟!

ـ ٨ ـ

يلتف الصبيةُ من حولي ،

أذنَ الوقتَ إذنْ ..

وحلَّ الوعدُ .. وحان الترحالْ ،

لم يبقَ إلا التوديع ..

أملأُ عيني .. قلبي بالمرئيات ،

وأشمُّ رائحةَ الأرضْ ..

عاودتُ الدارَ ..

ودلفتُ إلى حجرتِنا الصمَّاء ..

أتحسَّسُ نبضَ الجدرانِ ..

وأدورُ كالهائم في أرجاءِ (الحوشِ) الموحِشْ ،

أصعد ثانيةً السطحَ ..

كانت أمي تضع (تنكة) ماء فوق (الطوفة)

وهناك (الركيَّةْ) ..

أبكي ليلَ الصيفِ ..

وندى (التنكة) والشيفِ الباردْ ..

ـ ٩ ـ

هي ذي أمّ مجيد .. حفصةْ ،

تأخذني بين ذراعيها ..

تملؤ وجهي بالدمع وبالقبلاتْ

وزكيةْ (أمي) ، توصيني

أنْ لا أنساها ..

وتلملمُ أُمي أطرافَ عباءَتِها ،

لا تقوى حملَ الأحزانِ ، وبكاءَ التوديعْ ،

وبصوتٍ مجروحٍ تخنقهُ العبراتْ ..

قالتْ :

((هذي الدارُ دنيانا ، مرفأنا الآمنْ ..

عتبتها تجري فيها الخيراتْ)) .

....

....

هي ذي زنكو تغرق في الآلام ..

أطلال الفردوس

الصبيُّ الضارب في البقاع ، أوهن خطواته

الترحال ، عاد شيخاً ، باحثاً عن هوية

الطفولة الأولى ، بين الأزقة والطرقات ،

.. اكتشف المسافة الفراغية الموحشة

بين (مُثُل) الدربونة ، وبين (الواقعية

الصلبة) التي ينهض عليها جبل الأسمنت

الأبيض . فالدور العشر ترقد تحت عمارة

باسطة ذراعين من حديد مسلح ،

.. عندها أدرك الشيخ قانون الصيرورة

بوصفه حتمية تقطّي ضرورتها

تغيير مشاهد المكان والزمان ،

واستبدال اليقينيات الجازمة

بممكنات بالغة النسبية ..

ولم يعد ثمة من شيء قابل للمقاومة

إلا الذكرى .

ـ ١ ـ

نزلَ الشيخُ الكرخَ ليلةَ عيد الأضحى ..

يسأل أهلَ الذكرِ ..

عن حال الدنيا ..

عن أيام الصبيةِ في دربونة زنكو ؟!

الدنيا يا مولايَ غير الدنيا ..

الجنةُ صارت في آخرةِ القرنِ العشرين ..

أسواقاً ودكاكينْ ..

مدرسةُ الزوراء آلتْ خربةْ ..

والحصّانةُ فرتْ منها الخيلْ

قمرُ الكرخِ توارى .. ونأى ..

وانطفأ قنديل النورِ في شباك الملاَ ..

والأبوابُ المشرعةُ للضيفِ الآتي ليلاً

إعلاناتٌ للفيديو ..

أين ولّتْ يا مولايَ الأنوار ؟!

– (الحنيّة)

الـــــروح

الحــــبُ

الإيثـــــار ؟!

أين ارتحلت دربونةُ زنكو ؟!

ولِمَ الطيرُ هجر شرفات الدور العشر والباحاتْ ؟

الصبيةُ ذابوا في (الزحمهْ)

ولّى زمنْ (الكمريهْ)

وشايُ العصر ..

وخبزُ العباسْ !

ـ ٢ ـ

يمضي الشيخُ بين الأطلال الغابرة الأولى ..

... يستذكرُ عصر الغبطة ليلة عيدٍ ..

هوذا دكان حسين الراوي الحلاق ،

آلَ محلاً للخضراوات ..

.. ((أيام العم حسين وصاحبه الشيخ أحمد))

عاش الاثنان معاً في الدنيا ..

لم يفترقا ..

وأقاما عند الموت معاً في رأس التلّ الأحمر

كان الرجلُ ودوداً عَذب الكلمة ..

يأتيه الأولادُ ليلةَ عيد .

ـ ٣ ـ

.. واستذكرت وأنا ألقي خطوتي الأولى ..

في سوق الفحامة ..

أيامَ (كريم الجوجه)

كان وديعاً ويحبُ الخيلَ حباً جما

يحمل عند الفجر طبقَ الخبز ..

ويدور أطرافَ الفحامه

ويدق الأبوابَ باباً بابا

ثمة ينتبذ ناصيةً في السوق

ورأيت يوماً جوجةَ يبكي ..

إذْ سقطت من جيب دشداشته ..

(عانات) الخبز ..

أوجعه فقدُ الأم وحزنُ الموتْ

ضاقتْ في عينيه الدنيا ..

آثرَ أنْ يطوي الآلام بحبِ الخيلِ ،..

علّ فرساً تؤنسُ وحشته

أو يسمع آهاتِ الروحِ حصانْ .

إنطفأتْ في تسعيناتِ القرن العشرين ..

أيامُ كريم الجوجه

اقتلع المرضُ الكبدَ المفعمَ بالأحزانْ ..

وقضى آخرَ لحظاتِ العمرِ بين الخيلِ لينامْ

ثمةَ يرقد ابداً ..

مات صديقُ الخيل .

في مقهى عريبي وبيوتات الفحامه ..

.. وليالي البرد بين الأطلال ..

يأتي ذكر كريم الجوجه ..

كان أميناً ، ووديعا ..

يحمل طبق الخبز عند الفجر ..

أو يتحدث في آخرة الليلِ عن أنساب الخيلْ .

ـ ٤ ـ

وهنا . تذكرة الروح . (بيت أبي السعد) !

محراب الوجع الإنساني .

كان البيت ملاذاً للناس ،

يقصده المقهورون . المهزومون . البؤساء .

الأتون من كل فجٍ من مدن الأحزان .

يوقد في قلب الانسان ..

.. أملاً بالابراء والاستشفاء ..

- ٥ -

ثمة نافذة الروح الأخرى .

الملاّ جواد ..

يأتيه الناس أفواجاً من أطراف الكرخ ..

امرأة تشكو هجران الزوج ..

أخرى تحلم بـ (الحمل) الآتي ذكرا

وامرأة عاقر ..

سيدة تفتح كفيها بالنذرِ والدعوات

حملتني أمي يوما

وضع يده الواهنةَ فوقَ الصدغينْ

تمتم بسم الله .

قَرأ الملاّ جواد :

(الحمدَ) و (الفلقَ) و (الاخلاصْ) .

يسألني بين السورةِ والسورهْ :

((هل خفّتْ يا ولدي أوجاعُ الرأسْ)) ؟.

وأجيبُ الملا بالنفي ..

فيحوقلْ ..

ثَمَ يتمتم بسم الله ..

ويعود يتلو سورَ (الحمد) (الفلقَ) (الاخلاص) .

ـ ٦ ـ

.. ثمة أيامٌ أُخرى ..

في طرفِ (جْميّله)

دار السيدة الطيبة القلبْ

ضامرة العود ..

وجه آت من زمن الغبطهْ

تنثال كلمات الخالة (تاضي) :

بـــ الودّ والرفق و (الحنيّة)

وتخاطبنا (يُمّه)

يكتظّ الحوش بالفتية والأولاد

نبتاع منها (البوتاز) و (زنابير) النار

الدنيا في صيروره :

والدارُ الثابتةُ الأركان قائمةٌ حتى اليوم ..

والوجهُ الآتي من زمن الخيرات لمْ ينسَ الكلمهْ :

(يمّهْ) ..

تصحو السيدةْ الضامرةْ العود يوما :

تفتقد نورَ العين :

قيل لها : ابنك ناجي صَحبَ الخيلَ لبيروتَ ..

في رحلة صيف ..

.. مرَّ الزمن .

غارَ الجرح ..

سيدةُ الكلمه

تنتظر الغائبَ عند بوابات الجرحْ ..

غابت الشمسُ في عينيها ..

تحتضن دشداشةَ ناجي تبكيه ..

ثمةَ مدْيه ..

تقطع كبد الأم أوصالا ..

فتحيل الجسد الضامرَ ظلا ..

تُلقي أسئلةَ الحزن ..

وتخاطب : الريح .. الشمسَ . الطيرَ ..

الأبوابَ . المدن .. الخيل . العشبْ

هل أحدٌ يا أهلَ الله يعرف إبني ؟!

تمضي في الأسواق ..

تصعد صوب الفلاحات ..

وعلاوي الحنطه ..

وتدور حول الفحامة درباً ، دربا ..

تنوي كل صباح نذراً ..

أن يأتيها خبر أو مكتوب

أو ضوء يفتح سر التيهِ ..

أو يكشف لغز الغائب ..

تسأل عنه الخيلَ ..

ليس ثمة من أحدٍ في هذا الكون أو كائن .

يعلم ..

أين مضى الزمنُ المرُّ بالسيدة الضامرة العود

علَ المرآةَ ما برحت تسأل هذا العالم .

أو أن الأوصاب استلبت الروح العذبة ..

تاضى .. أسئلة الحزن الأخرى ..

ـ ٧ ـ

يتلظى قلبُ الدرويش بالسرّ الراقد في نار الوَجْدْ

مجذوباً صوب جهات الهيبةِ والأُنسْ .

ثم يدور حول مقام الوَرْدْ

يسأل جدران (الفحامة) عن واقعة البُعْدْ

الخطوةُ في مملكة الزمن الفائت .. تنأى

صارت عصراً .. حجرا

شاختْ شُرفاتُ الجنّه ..

والحجرات أضحتْ حطباً ورمادْ

والدرويش العاشق يسعى ما بين الرهبة والرغبه

يبحث في لوح الحريه ..

عن حكمة (زنكو) :

عن قانون الـ (نحن)

عن قمر العمر وسرّ (الأين)

.. وتدور بين الأطلال العين

ثمة مرآة الذكرى ..

تجتذب الضوءَ . اللونَ . الطيرَ . هلالَ العيدِ

وردةَ قداح . وحجابَ (الملاّ جواد) !

يرتدّ بصرُ الدرويش وهو حسير

ـ ٨ ـ

ارتحلت زنكو ..

.. خلف الآماد والأزمان .

وانطفأت أيامُ العمر الأولى ..

ليس ثمة في الفردوس إلا الصمت الموحش ،

فرّ الضوءُ . القمرُ . الطير ..

.. وطوى الوقت الغاربُ .

.. غبطات الدربونه :

شاي العصر . القنداغ .. ابريق الآس .

.. قمر الكرخ .. سالوفات الليل ..

هتف الدرويشُ :

ـ عبدالله !.. الغربةُ تأكلني ..

أسألك الله أن تأتي الآن .

الاصداء صاعقة ترتدّ حجراً في قاع القلب .

ـ ارتحل يا مولايَ الدرويش الصبيه .

ولجوا في الليلِ مملكة الدمع .

ـ ٩ ـ

يَرْتقبُ العاشقُ أنْ يوقظ قمرُ الكرخ ..

.. شمساً أخرى .

نمضي والصبية للملاَ ..

تصحبنا دعواتُ (حمدهْ المحنهْ)

.. ما إنْ نصل (الحصانة) ..

حتى تجذبنا أشواق خضر الياسْ .

فنردُ النهرَ ..

.. نوقدُ في الماء شموع النذرَ ..

يا مولاي :

((طال الهجرُ أمدا ..

لا زلنا نرنو للآتي ..

يشقينا في العصر حال التوق ومعراج القُرَبْ .

ـ ١٠ ـ

يثبُ قمرُ الكرخ فوق قباب الشيخ الكرخيّ ..

طيراً من ورق الحناء

ويُطلّ الآتون من مملكة الدمع ..

عبر النافذة الزرقاء .

فيشيع الدفءُ العذبُ في الأرجاء

ويجوس الفتية أرض الغيبه ..

ثَمَ صبي يمشي فوق الماء

يصحبه شيخُ الشط ..

.. نهض في الثالثة عقب صلاةِ العصر الموتى .

.. والتأم الأحياء .

.. وأكاد أسمع صوت رشيد يبكي في رأس الدربونه

وارى ظل نعيم يعدو ما بين (الطمةِ) و (الفلاحات)

وأمومةُ زنكو ينزلنّ من هضباتِ التلِ الأحمرْ :

واحدة تلو الأخرى ،

حفصة . فطومة .. صديقة . فتحيه

زكية . ملكة . بطوشة . ماهية

يرفلن بثياب من ريحانٍ وحرير .

ـ ١١ ـ

النخلُ يمشي اثر شجيرات الزيتون فرحاً بالوصلِ ..

.. بين الآماد المنفيّة والوقت القائم .

يلتئم الآتون عند السدرةِ والمحراب

.. ويقيم الشهداء :

مزهــر

ســـعد

هـــادي

مــداح

صلاة الغائب .

.. ينضمَ الى الصفَ الموتى ..

صبري . غازي ورياض .

سموّعي . عزّاوي . وصلاح .

ثمة يأتي من أقصى بوابات الشوق الدرويش :

ويليه ..

مزهر ، صبحي ، فيصل .

هاشم ، جبار ، عبدالله

محمد ، خطاب ، ابراهيم

زهير ، نعيم ، رحيم ..

ويجيء عبدالرحمن بن علي بن خميس .

ـ ١٢ ـ

نلجُ الطرقات الحانية القلبَ .

نلثمُ حجرَ العتباتِ المندرساتْ

ونلوذُ بأفياءِ مرابعنا الأولى

نبحثُ عن حُجراتِ الفردوسْ !

......

الصمت البارد والغيبه ..

صبري يرقد في ظلِ شجر الكافورْ ..

وينامُ ملء العين في بستانِ معروفِ الكرخيْ

واختارَ مزهرْ

الخلد الأبديّ فأقامَ وراءَ الحاضرْ

يرقب قافلةَ الصبيةِ أن تأتي ..

.. بالآس والريحان عند التلِّ الأحمرْ ..

غابتْ أحلامُ الدربونة تحتَ عماراتِ حيفا السبعْ

واقتلع الشارعُ حجراتِ الجنّهْ

لم يبقَ من دنيا الغبطهْ

إلا الأطلالُ الخربهْ

وبقايا الطوفه ..

نخلة حفصه ..

ارتحل يا مولاتيَ هلالُ العيد ..

فانطفأت في قلب الإنسان البهجة .

سأل الشيخ :

ما الخطبُ ؟!..

في أيِ الاصقاع النائية الموحشة راحَ الركبُ ؟!

صاح الدرويش :

البحر : بلا شاطىء ..

الوقت : مسرمد

الغربة : أزل

(والناعور يدور في المنفى أبدا) ..

قال الشيخ :

ــ لكن الشوقَ يا مولاي إيلامٌ للقلبِ وعذابْ ؟!

هتف الدرويشْ :

فلتأتِ عينَ العقلْ

وأَنخْ عندَ السدر جَمَلَ الصبرْ

.. فالصيرورةُ قانون الحركه ..

.. تسري دوماً نحو الغدْ .

الهوامش والتعليقات

لم اشـأ إرهاق النص بالترقيم لإبانة الإحالات .. ووجـدت مـن الأفضل حصر المفاهيم / الألفاظ / الأسـماء / التواريـخ الواردة فـي (النص) أو المقدمات لأوجعلها في آخـرة الكتاب . وقد حاولت قـدر الإمكان مراعاة تسلسل الوقائع ، تيسيراً للقارىء الكريم .

جسر الكرخ :

- جسر الشهداء .
- ويسمى أيضا : ((الجِسر العتيك)) .

الشهداء الكرخيون منهم :

- قيس الآلوسي (١٩٤٨) .
- سَليم السـدرَة (١٩٤٨) .
- مهديـــــــة (١٩٤٨) .
- مثنى حمدان العزاوي (١٩٦٣) .
- مزهر جميل المشمش (١٩٦٣) .
- هادي عبدالجبار الراوي (١٩٧٣) .
- سعد عزالدين الراوي (فلسطين ١٩٦٩) .
- حمادة صبرى ([illegible])

صوفية الكرخ :

.الشيخ معروف الكرخي (٢٠٠ هـ)

يوصف بأنه كان فريد عصـــره ، علمـــاً ، وذوقـــاً ، وســـلوكاً . مرقـــده فـــي المقـــبرة التي تعرف باسمه حتى اليوم .

.الشيخ الجنيد البغدادي (٢٩٨ هـ)

ولـــد ونشأ في بغداد . اشـــتهر بمجلســـه العلمي ، ضريحه فـــي مقبرته التـــي تحمـــل إسمه ، وقبره يزار حتى اليوم .

.الحسين بن منصور الحلاّج (٣٠٩ هـ)

ـ دفع حياته فداءً لمعتقداته وآرائه .

ـ أشهر دواوينه (الطواسين) .

– طريقة موتـــه أصبحـت واحـدة مـن التراجيديـات الكـبرى فـي الأدب الحديـث والمعاصر .

– أعدم صلباً في بغداد عام ٣٠٩ هـ .

– مقامه مجاور لمستشفى (الكرامـة) ، على مقربة من مقبرة (تل أحمر) .

– لعلّ منطقة المنصورية التي تقع خلـف مقامه ، تنسب إليه .

.السرّي السقطي (٢٣٥ هـ)

– شيخ صوفية العراق وأستاذ الجنيد .

– يوصف أيضـاً بأنـه إمـام البغداديين وشيخهم.

– يجاور قبره ضريح الشيخ الجنيد .

.داود الطائـــــي (١٦٦ هـ)

ـ أصبح إمام التصوف في زمانه .

ـ يروى عنه ، إنه كان جــواداً ، كريمــاً ، لا يقاس أحد بسخائه .

ـ على يديه تتلمذ صوفيــــة عصـــره ، منهم الكرخي .

ـ ضريحه فــي المقبـــرة المعــروفـــة بأسمه .

.أبـو يزيـد البسـطامي (٢٦١ هـ)

ـ يلقب بـ (سلطان العاشقين) .

ـ ذو سيرة مدهشــــة منعمــة بــالمواقف والاشارات و (الشطحات) !

ـ توفي ودفن في مدينة بسطام .

ـ له رباط يعرف بأسـمه موقعـه مقـابل متوسطة الكرخ قرب شـريعة الدميرخانـة ـ سـوق الجديـد ، (حسـب الاسـتاذ أنـور عبدالحميـد الناصري) .

.أبو سعيد الخرّاز (٢٧٩ هـ)

ـ يلقب بـ (قمر الصوفية) .

ـ ولد في أوائل القرن الثـالث الـهجري ، بغدادي الموطن .

ـ اكتملت لديه الأركان الثلاثة .

= الكسب الحلال .

= العلـم النافـع .

= العمل المؤسس على الحكمة .

.التستري (أبو محمد سهل بن عبدالله)

(٣٠٠ هـ .٣٨٣ هـ)

ـ شخصية صوفية رفيعة المقام .

ـ يوصف بأن منزلته لا تلحق بـــها فـــي ميدان المعرفة والذوق ، والسلوك .

ـ يلقب (ساجد القلب) .

.حبيب العجمي (١٣٥هـ)

ـ (أبو محمد حبيب المعروف بـــالعجمي) توفي عام ١٢٥ هـــ فـــي مدينــــة البصـــرة ودفن فيها .

ـ تروي عنه كتـــب وطبقـــات التصـــوف وتنسب اليه العديد من الكرمات .

ـ ومسجد حبيب العجمـــي ، قريـــب مـــن ثانوية الكرخ للبنين .

.الشيخ صندل

ـ مسجد الشيخ صندل لم يزل قائماً يطل على شارع حيفا .

ـ محلة تقع شمالي الفحامة .

ـ الشيخ (صندل بن عبدالله) ، لا يزال قبره ظاهراً في مسجده ، ولما جدد عام ١٩٤١ ، درس قبره ، لأنه كان يعيق حركة المصلين ، فأفتى العلماء بتسويته ، وكان قبره يقع على يمين المنبر .

.شيخ الشط (خضر الياس)

ـ مقامه معروف على نهر دجلة ، في المحلة المعروفة بأسمه .

ـ يعرف أيضاً بـ (الخضر أبي محمد) .

ـ نذور البغداديات لم تنقطع لحد

الآن .

ـ يقال : مقامه الحالي كان في الأصل كنيسة صغيرة ، تقام فيها الصلاة تبركا بقديس يسمى (خضر الياس) .. وإن هذا الموضع قد زال باستيلاء دجلة عليه (١٩٢٠ ـ ١٩٢١).

ـ ويقال : إنه مقام (سيدنا الخضر) وقد جاءته المياه ، فلم يبق منه إلا الأسم وبعض أصول الجدران .

ـ سميت المحلة بأسمه منذ عهد بعيد .. أما مقامه الموجود هناك ، فلا يتذكره أجدادنا .

راجع انور عبدالحميد الناصري ـ تفاصيل إضافية . سوق الجديد . ج ١ ص ٨٧ وما يليها .

.الحنيّـــة

ـ حسب الاستاذ الراحل عبود الشـالجي ، ـ مـن الحنّو ـ (أن الصناعة توأم صاحبها) ، كما توأمه الأم العطوف ، الشغوف .

ـ لعل هذا وحده يفسر (الحنيّة) رغيف خبز بحجم الكف ، يعد للأطفال .

ـ تحرص أمي أن تدسه في (عليجتي) صباح كل يوم في طريقي الى (الملا) ، قد أقضمها قبل أن ألج باب الملا .. أو أستبقيها للضحى .

.السعديـة

ـ طرف من محلة (الفحامة) يقع على جناحها الغربي .

ـ ينفذ الى شارع الشيخ معروف .

وينتهي عند ناصية سينما (زبيدة) .

.مقهى عريبي

ــ راسخة ، قائمة حتــى اليــوم ، اصـــاب جدرانـــها البلى ، لا تزال تحتفظ بأرائكها العتيقة .

ــ أشهر مقاهي الفحامة .

ــ يرقى عمرها الى عشرينيات القرن الفائت .

.الدربونــــة

* حسب (الاستاذ الراحل عبود الشالجي) :

ــ زقاق ضيق غير نافذ .

ولكل دربونة أسم تعرف بــه ، وأكثـــر مـــا تكـــون نســبتها لأشـــهر من يقيم في دورهـــا ، أو تنســب الـــى حيوان أو نبات .

مثل : = دربونة البستان .

= دربونة النملــة .

راجع أيضاً بغداديات الأستاذ الحجية .

.زنكـــــو

ـ اسـم دربونتنا العزيـزة . تقع في محلة الفحامـة ، إشـتق (الأسـم) إثـر حادثـة طريفـة إنفـرد بروايتهـا (العميـد عبدالجبـار عبدالـرزاق الدليمـي ، نقلاً عن جدته لأبيه) وذلك أثنـاء لقائـي بـه شـتاء ١٩٩٧ إن جملاً محملاً بالملح ، ولج الدربونـة الضيقـة في ضحى يوم يعـود تاريخـه الـى بدايـات القـرن العشريـن ، وعندمـا وصـل الـى نهايتهـا الموصـدة (زنق) جسده بيـن جدرانهـا ، حـاول النـاس عبثـاً تحريره من (زنقته) ، وذهبـت محاولاتهـم هباء ، فلـم يعد بوسع صاحبه إلا أن (ينحره) فـي نفـس المكـان ، ويبيع لحمه طرياً ،.. قيل منـذ تلـك الحادثـة التـي شـهدتها الفحامة ، إشتهرت الدربونة بالأسم الذي حملتـه قرابة قرن مـن الزمان .

ـ تضم (زنكو) عشرة بيوت تقع على جناحيها .

. سُكْنَّــــه

ــ امرأة ضامرة العود .

ــ وجه متعب هدته أوصاب الحياة ومشاق العيش .

ــ قاومــت (الاملاق) ببســـــالة فــــريدة ، نــــهضت تحمل (جرة الماء) ، ــ ملاّية ــ تسقي بيوت الفحامــــة. تسابق الفجر ، ولا تؤوب الى دارهــــا أو تســتريح إلا اذا جَــنّ الليــل .

ــ وحيــن جرى الماء في الأنابيب الـــى بيوتنـــا عـــبر الأسالة .

استبدلت (سكنة) السقاية ، بــ (جدر) البـــــاقلاء ، عند باب دارها ، فيتوافد الناس في الصباح .

ــ تظل سكنة واحدة من كائنات العصر الجميل ، إمـــرأة عظيمة القدر ، رضية السجايا .

.الأمهات في (زنكو)

لسن إلا أما واحدة ، وأن تعددت أسماؤهن . وقد ارتحلن جميعا إلا أمي .

ـ حمدة المحنة ، حمدة النعيمي ، فطومة الظاهر ، صديقة العكلة ، حفصة مراد ، فتحية العساف ، بطوّشة ، ملكة . نورة ، زكية ، مليكة (أمي) .

ـ زكية : أمي التي أرضعتني وهي تمثل (امومة زنكو) . فقد ارضعت العديد من أولاد وبنات جيلنا ، ولذلك فإن اغلبهم (أخوة وأخوات) ينضمون الى عائلة واحدة، وأن الجميع كان يخاطب (زكية) بكلمة : (يمه) .

و (مجوّدة) ابنة زكية اختي في الرضاعة .

.قمر الكرخ

ـ لعل الرمز الأقرب الى تمثيله هو (الحرية) ،

الانفلات من (الوعي الزائف) قبلياً كان أم عرقيـــا ، إنـــه الاتساع اللامحدود ، يضــمّ الجميــع في دائـــرة إنســـانية واحدة ، مفعمـــة بـــالبراءة ، والتلقائيـــة ، والمحبـــة والسخاء .

ـ أيضا . قمر الكرخ ، إشـــارة واقعيـــة الـــى الأنـــوار المستديمة التي غمرت ليالي الصبية تحـــت ظـــلال (تيـــل الكهربـــاء) السامق ، في رأس الدربونة . حيـــث تلتئـــم القلوب لعبـــاً وأنساً ، نأوي الى حضن الضـــوء ، نتبـــادل الحكايا ، وتجـــول الأخيلـــة في الزمـــان والمكـــان ومـــا وراءهما ، نتسامر عبر أفـــق مفتـــوح كالحريـــة .. نطـــلّ علـــى الدنيا .. حتى ينتصف الليل .

.ســـالوفات

ـ مفردها سالوفة .

ـ إقصوصة صغيرة .

.السعلوّة

ـ مخلوق خرافي .

ـ وصفته المرويات الشعبية : بأنه امرأة سوداء اللون ، كثيفة الشعر ، طويلة القامة ، وقيل : قميئة ممتلئة ، تتدحرج مثل كرة على الأرض ، ذميمة الخلقة تأكل ولا تشبع ، وتوقع الأذى بكل من تنظر إليه .

ـ أورد ذكرها كثير ممن يعنون بالتراث والخرافة .

.طنطل

ـ كائن أسطوري يزعمون إنه يتربص الذين يمرون ليلاً بالأزقة المظلمة ، فيفزعهم .

ـ أستقر في ذاكرة الطفولة على أنه عملاق ، جاحظ العينين ، ينسل من حائط ، أو يخرج من تحت الأرض .

ـ ثمة دربونة تعرف باسم (طنطل) في محلة سوق الجديد بالكرخ ..

ـ اسم زقـاق ايضاً في الرصافة ينتهي فـي (فضـوة عرب) ، بين محلتي (التسابيل) وباب الشيخ .

أنظر الناصري ـ سـوق الجديـد . ج ١ ص ٣٤٦ ـ ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .

.الخنّـاك

ـ وهم شائع بين صبيـة الكـرخ ، أن ثمـة رجـل وحشيّ القسمات ، ما ان يـرى طفـلاً حتـى يمسـكه ، فيطوق عنقه بقبضتيه (يخنقه) ولا يتركـه إلا بعـد أن يلفظ أنفاسه .

ـ قيـل : إنـه يلـوذ بالخـرائـب المهجـورة ، وقيـل : أن (المنطكة) تعج بـ (الخنـاكين) الذيـن يترصـدون الصبية والأطفال ، يختبئـون تحـت ظـلال اشجار البساتين .

.البئــــر

ـ أضفَــت الأخيلــة الشــعبية صفــة القداســة علــى (بئر البيت) ، ويعتقد أهــل دربونــة زنكو بــأن دارنــا مباركة كثيرة الخيــرات ، لوجــود (مَلَك صالــح) يرقــد في قاع البئر .

ـ وقــد نســجت أمهاتنــا العديــد مــن المشــاهـد (الحسية) عن ظهور الملــك ، وتجوالــه فــي أرجــاء البيــت .. وقيامه أحياناً بزيــارة الأطفــال وهم نــائمون وأن موعــده قبيل الفجر ، يخـــرج ، ويتوضــأ ، ويقيــم الصلاة .. ثم يعود من حيث أتى .

ـ وهــو في ذاكرة أمي ، مشــرق الوجــه ، وضّــاء القسمات ، أليف المُحيّا ، تنبعث منه ومن حوله الأنــوار ، وهو عندها مبعث الأمن والسلام والرضا .

.تنيّـــن

ـ حيوان خرافي متعدد الرؤوس

.الجميّـــدة

ـ من لعـــب الأطفال الشائعة فـــي أربعينيـــات القـــرن الفائت .

.الختيّـــلة

ـ وقد تسمى لدى البعض (ختيبـــة) (حسب الحجيـــة في البغداديات) .

ـ إحدى اللعب الذائعة في زماننا .

.الفحّامـــة

ـ إحدى المحلات الكبيرة والشهيرة في الكرخ .

ـ حدودها كما وردت في أطلس بغداد :

= من الشمال : محلة الشيخ صندل وجامع عطا.

= من الشرق : محلة الفلاحات .

= من الجنوب : محلة الدوريين .

= من الغرب : محلة المشاهدة .

ــ ينسـم أسم الفحّامة في جميع الأحوال الى صـانعي الفحم الذيـن كانوا يصنعونـه من جذوع الأشجار ، التـي لا بد أن يتـم حرقها أولاً ، ثم يـرش عليـها المـاء ، أو يجري ردمها بالتراب في حفرة وسيعة .

راجع أمين المميز ــ بغداد كما عرفتها .

.الصرفـــة

ــ موعد الإنصـراف مـن (المـلا) عقـب إنتـهاء الدوام .

ــ وهما صرفتان :

= الأولى ــ صرفة الظهر .

= الثانية ــ صرفة العصر .

.الكيـــش

ــ هو الماء الضحضاح ، أي قريب من القعر .

ــ الكلمـــة حســب الاســتاذ الشــالجي (آراميـــة) ــ (كاوشا) بمعنى ــ المخاضة ــ .

.الكيش الحلاوي

والبغداديون اذا صادفوا مثل هذا الماء ، قـــالوا (هــذا الكيش حلاوي) نســبة الــى مدينـــة الحلـــة ، وســبب ذلك أن الماء إنقطع عن المدينـــة لتغير مجـــرى النـــهر ، فيبس أو جف ــ شط الحلة ــ و أصبح مخاضة . وصـــار مضرب مثل .

ولم يعد الماء الى مجراه إلا بعـــد أن بنيـــت (ســدَّة الهندية) عام ١٩١١ .

.الروجـــــات

ــ مفردها روجـــه .

ــ تعنـــي : الموجة .

.الشـــــطّ

ــ فـــي الفصحـــــــى (شــــاطىء النـــهر) ، وعنـــد البغداديين : النهر حصراً .

.نـعيّج الميّ

ــ نوع مـــن الطيور المهاجرة ، ــ النوارس ــ تجــيء الى دجلة في أوائل الربيع .

ــ كبيرة الحجم نسبياً ، يغلب عليها اللـــون الأبيــض . جميلـــة الشـــكل ، رائعة التكويـــن ، رشـــيقة الحركـــة .. تحتشد عند منافذ الجسر العتيق ..

سحرتني انسيابيتها على صفحات المياه .. وطيرانها الناعم بالقرب من شواطىء شريعة النواب .

.السوّيرة

ـ التيار السريع الذي يشكل دائرة عمودية ، فإذا التفّ على أحد من الصبية فإنها تنزله الى قاع النهر ، وقد تتسبب في غرقه . تسمى في الفرات الأعلى (الغلّولاية) ـ وقد تكون من (الغيلة) ـ .

والصبية يرهبون (السويرة) ، ويتجنبون (السباحة) في الزوايا ، أو الإنحناءات الحادة في النهر ، حيث تتضاعف قوة التيار .

.الكردشة

ـ لم أجد لها تعريفاً في كتب الفولكلور الميسرة .

ـ من عادة الأطفال أن يباشروا تناول (الركي) عقب

إنتهاء السباحة على الشاطىء بطريقـــة عشـــوائية ، دون تقطيعه الى (أشياف) .

. الركـــــي

ـ الرقـــــي .

. البلــــم

ـ زورق معروف في بغداد .

. كفـــة

ـ من وسائل النقـــل المائـــي القديمـــة ببغـــداد . أدركتهـــا في الاربعينيات .

. شريعة النـــواب

ـ مجاورة لأعدادية الكرخ للبنات .

ـ مورد الشاربة . ومحطة عبور الى الضفة الأخـــرى من النهر .

ـ مرسى الزوارق والدوبات .

.القُمريـــة

ـ من الطيـور ، ويقـال ليس في الطيور أوفـى مـن قمرية ، فأنه إذا مات ذكرهـا ، حزنت عليه ، فلا تقـرب ذكرا آخر مـن بعـده ، ولا تـزال تنوح عليـه الـى أن تموت .

راجع الناصري / سوق الجديد ج٢ ص ٧٨ .

.القُمريـــة

ـ جامـع الأنـوار ، أكثر جامع تحـدث عـن أسـمه ومنارته وتجديده المؤرخون .

ـ الجامع ذو المنارة البيضاء ، حتى زعموا أن السـيد

المسيح سينزل عليهـا عندما يعود فـي نهايـة الزمـان وآخرة التاريخ ، ليملأ الأرض محبة وسلاماً ..

ـ المنارة تنتصب فـوق تسعة قرون مـن التـاريخ ، يحف بها السكون والكبرياء .

ـ تبعد عن ثانوية الكرخ مسافة لا تزيد عـن عشـرين ذراعاً .

الناصري ـ مصدر سابق . الجـزء الأول ص ١٢١ ـ ١٢٣ .

.الكمريـة

ـ إذا كانت الليلة مقمرة ..

.التيغـة

ـ جدار بين سطحين متجاورين .

ـ وقد تكون بمثابة (سياج) .

. شـيف

ـ مقطع طولي من (الرقي) أو (البطيخ) .
ـ أي هو الفلقة ، إذا قسمت الى فلق مستطيلة .
ـ يسمي البغداديون كل فلقة أو مقطع منّها ، (شيفاً) وجمعها أشياف .

. بارية

ـ حصير منسوج من القصب الجاف .
ـ تنبسط في السطوح تحت الفرش الممدودة ليالي الصيف .
ـ وتمد في أروقة (الملا) أو المساجد .

. قُنْداغ

ـ ماء مغلي مُحلّى بالسكر ، يُشرب صباحاً ، قبيل الأفطار .

ـ كـان مـن عـادة الأمهـات أن تسـقي أطفالـها الصغار (القنداغ) .

. شـأي العروس

ـ يقدم للأطفال عند إلحاحهم في طلب الشاي .

ـ عبارة عن إستكان ماء مغلي مـع السـكر مضافـاً إليه ملعقة شاي مخدر ، فيضفي علـى القسـم الفوقـاني لونا اصفر يشربه الصغار فرحين ..

. الكسـار

ـ أحد انشغالات فتية الفحامة وصبيانها .

ـ والكسار قد يعني (الكسيرة) أو الهزيمـة . وقـد يعني (المكاسرة) أو (المقاتلة) . هذا محـض اجتـهاد شخصي .

ـ يعـد واحـدة مـن مغامراتنـا الأثـيرة فـي

الأربعينيات ، وقد أصبت جــراء المشـــاركة فــي وقائعــه بجروح بليغة لا يزال أثر البعــض منهـا بيـــنّاً علــى رأسي وجبهتي حتى اليوم ، وقد خاض جيلنا العديـد مـن المعارك مع (محلة المنصورية) .

وكان بعض هــذه المواجهــات يتــم الاعــداد لــها ، والاستعداد المسبق لبدئها ، فتضرب المواعيـد ، ويلتقـي الطرفان في مكان محدد ســلفاً . وقــد أعــدّ كــل صبـي منــا (مقلاعاً) ، فاذا تم تنظيم الصفوف زحفنـا صــوب المحلة الأخرى ، ونحن نردد الهوسات :

((إحنا الفحّامة .. الدحّامة بيرك منشور .. فحامة)) .

أنظر : الحجية ، بغداديات .

. المنصوريـــة

ـ محلــة خلــف مســـتشفى الكرامـــة ، مجــاورة لمنطقة (الدوريين) .

ـ لعلها سميت بهذا الأسم نسبة الى أبي منصور الحلاج الصوفي الشهير الذي يقع مقامه قريبا منها (المنصورية).

. المعجال

ـ ويسمى (مقلاع) و (مجلاع) . يحاك من خيوط القطن المبرومة ، وله بطن كراحة اليد تسمى (فنجان) ، وله طرفان مضفوران كما تضفر الجدايل يسميان (جنايد) وفي أحد طرفيه حلقة من الخيوط ذاتها ، يدخل فيها الخنصر تسمى (العروة) ، توضع الحصاة ، أو الحجرة الصغيرة داخل الفنجان ويتم قذفها على الطرف الآخر عندما يبدأ الكسار .

أنظر : بغداديات الحجية .

وموسوعة الشالجي للأمثال البغدادية .

. العـــــزل

ـ مستشفى (الكرامة) حالياً ، كانـــــت مخصصــــة لإيواء واستشفاء المصابيــن بــ (السل) ، حيـــث يتـم عزل المرضى وقاية للآخرين من المرض المعدي .

. التــل الأحمــر

ـ أو مقبرة تل أحمر / مجـــاورة للشـــيخ معــروف الكرخي ، تضم قبور الموتى من (زنكـــو) والفحامــــة ، وعلى هضبتها مرقد الشـــيخ أحمـــد التونســي الزاهــد المعروف بــ (ابي رنّة) والى جـــواره الســـيد حســين الراوي (حسين المزين) .

. سينـما قـدري

ـ نسبة الى أســم مالكها (قـــدري الأرض رومـــي) وعند البغداديين (الأزرملي) .

ـ استبدل أسـمها بـ (سينما بغـداد) ، ولا تـزال قائمة في منطقة علاوي الحلة .

. الجعيفـر

ـ المحلـة المشـهورة تقـع بيـن مقهـى الريفـي القديمة و (المنطكة) .

. المنطكـة

ـ محلة تلي الجعيفر بأتجاه الجسر الحديدي .

. كـورة الزنابير

ـ شـق فـي جـدران البسـاتيـن وبعـض سـقوف البيوت القديمة يضم خلايا أو مأوى (الزنابير) .

. بُراثـا

ـ الجامع الشهير . يُروى حوله العديد من الحكايـات ، منهـا أن الإمـام علـي بن ابي طالب عليـه السـلام ،

التقى (راهباً) في هذا المكان واسلم على يديه ، عندما كان الإمام الجليل متجهاً الى النهروان :

ــ موقعه قرب الجسر الحديدي ، في مقبرة المنطكة وقيل تسمى (مقبرة الفقراء) .

ــ أعيد تجديده وأتخذت له مئذنتان .

أنظر الشيخ الحنفي . معجم اللغة العامية البغدادية . ج٢ ص ٥٨ .

. طيور الكاظم

ــ تطلق على الفخاتي ــ الحمام البري ــ لونها ما بين الأحمر والرمادي . وطبقاً لمبدأ التعميم الذي أعتمدته ثقافة الطفولة ، فأن الفخاتي بأنواعها هي طيور الكاظم .

راجع الشيخ ياسين عيسى / الإصطلاحات . طهران ١٤٠٧ هـ ص ٩٩ .

. صندوق الدنيا

ــ يعرف أيضاً بصندوق (الولايات) .

ــ ثمة شريط ورق من صور شتى يوضع داخل صندوق ، وفي مقدمته (كوى) يطل منها المتفرج ، ويبدأ صاحبه يقص على الأطفال المشاهد المختلفة ، لا رابطة بينها ، صورة عنترة بن شداد يصارع الأسد ، الى صورة ابي زيد الهلالي ..

وكأني استعيد الآن تلك اللحظة الغائبة في قعر الاربعينيات التي تدخرها ذاكرتي حتى الان ، وأنا لم أتخط السادسة من عمري ، حيث حظيت بهذه التجربة أول مرة قبالة بيت (الداود) في الفحامة .. ونفسي التواقة الى التقاط شيء من المتعة التي سمعت عنها كثيراً من أقراني ، وها هي الفرصة قد أتيحت امامي ، لمعرفة سحر الفرجة ، حتى أصبح صندوق الولايات وحكاياته أحد مصادر السمر الليلي عند التئام الصبية حول قمر الكرخ !

. حِبْ المــاء

ـ بكسر (الحاء) وتسكين (الباء) .

ـ الزير ، يصبّ فيه الماء الخابط من (جرة سـكنة) ، فيقطـر المـاء الصافـي مـن أسـفله فـي إنـاء مـن الكوز يسمونه (بوّاكة) ، ويعرف عند أهـل عنـة وراوة بـ (الناقوط) .

. الطارمــــة

ـ إحدى خصائـص البيـت ذي العمـارة البغداديـة التقليدية أو الشرقيـة عمومـاً هـي (الطرمـة) وهـي الباحـة المبسـوطة أمـام حجـرات الـدار ، تطـل علـى (الحوش) ، تلتئم العائلة فيها فـي العصـارى ـ لإحتساء الشاي ـ !

. الحـــــوش

ــ فناء الدار الشرقية . وغالباً ما يكون مكشوفاً .

ــ أرضيتــه مبلطــة بالطابــوق الفرشـــي تتوســطه (البلوعة) لتصريف مياه الأمطار المســلطة عليــه مــن السطح العالي بواسطة (المزاريب) !

. الفَرشّــي

ــ الآجر الأصفر (المربع الشكل) .

ــ عند (الحجية) يسمى (الماطلي) !

. الـطمة

ــ تقع خلف حمام شامي .

ــ والطمة أكوام من (القمامة والرماد) حيث الموقــع الذي يوقد منه الحمام .

راجع الناصري ــ سوق الجديد ٢ / ٥٩ .

. يا كوكتي

ما زال (الهديل) يعدّ أعظم ترنيمات الوجود ، واحب الأصوات الى نفسي ، ولعل هذا وحده يعلل عشقي للحمام صورة وصوتاً ..

ــ * يا كوكتي وين أختي ؟!

ــ بـ (الحلة) .

* وشتاكل ؟!

ــ باجلة .

* وشتشرب ؟!

ــ مي الله !

ــ يعدها الباحث التراثي الأستاذ عزيز جاسم الحجية ، ترجمة بارعة لهديل الحمامة المطوقة التي يسميها البغداديون (فختية) .

أطلقتها حناجر الأطفال على نغم الفختية . ومحاكاة لهديلها !

. الشيخ محمد

ـ هو السـيد محمـد ويلقب بـ (المصلاوي) ، قيـل أنه من (النعيم) تشهد له الفخامـة بالاسـتقامة وحسـن المعاملة ، المعروف بالورع والتقوى وحب الخير .

ـ دكانه يقع في محيط مقهى عريبي .

ـ وللشيخ محمـد وجـه محبب فيـه اسـتطالة ، ذو بشرة بيضاء ناصعة . وثمة (نونة) على أرنبـة أنفـه . يضع على رأسه (غـترة) يطوّقهـا بقطعـة قمـاش خضراء اللون .

.. في ايامه الأخيرة ، كان يفترش حشية علـى الأرض أمام دكانه ..

. عبدالله الكاظم

ـ كنتُ أظنه شقيق ابـي ، فقد كان صديقـه الأثـير ، أمضيا سنوات الشباب معـاً ، لـم يفترقـا ، توفي فـي

وقت مبكر (السبعينيات) . قباعد بين الصديقين الموت . كانا يمضيان الليل في مقهى (أحمد الكاظم) في الفحامة . يلعبان (النرد) ، ويدخنان (النارجيلة) ولداه (عبدالواحد) و(عبدالرزاق) . زاملني (وحيد) في الملا ، درسنا معاً على يد الشيخ عباس حميد خضير العزاوي ، استشهد عبدالواحد عام ١٩٨٦ ، ودفن في مدخل مقبرة (تل أحمر) على الجهة اليسرى .. ما زلت ألقي عليه السلام كلما مررت به أو نزلت الفحامة .

. جميلة

ـ دربونة تعد إحدى أطراف الفحامة ، من جهتها الجنوبية .

. الفلاحات

ـ إحدى محلات الكرخ المشهورة .

ــ تقع شرقي الفحامة .

ــ من بيوتها المعروفة :

= الحاج محمود طبرة .

= عائلة شاكر الجودي .

= بيت حمام ..

ــ وفي الفلاحات امضـــى الكـــاتب مؤيـــد عبدالقـــادر صاحـــب موســـوعة (هؤلاء مرايافي هـــؤلاء) طفولتـــه وصباه ..

. لعبــة الصينيــة

ــ لعبة تجري فيها المنافسة على التقـــاط (الفنجـــان) الـــذي يختبـــىء تحته (المحبس) . تـــزاول غالبـــاً فـــي شـــهر رمضـــان ، وكانت تقام في مقـــهى أحمـــد الكـــاظم ومقهى عريبي .

راجع تفاصيل اللعبة وقواعدها لدى الحجية / بغداديات .

. المحيبـــس

ــ إحدى اللعب البغدادية المتسأنسة فــي ليــالي شــهر رمضان ، ولا تزال متداولة حتى الآن .

راجع الحجية / بغداديات .

. بقلاوة حجي جواد

ــ إذا ذكرت (البقلاوة) في شهر رمضان ، فلا بــد أن تقتــرن باسم (الحاج جواد الشـــكرجي) ، ذي الشــهرة الذائعة فــي عالم الحلويات ..

ــ تتميز دون غيرها من (البقلاوات) ، بــ :

= مذاق خاص (السمن الحر) .

= نكهة تنفرد بها .

ــ بسبب حُسن الصنعة وأتقان الإعداد .

ــ محشوة بالفستق والجوز واللوز .

ــ كان المحل الرئيــس في شارع (عبدالإلـــه) قــرب

ساحة الشهداء ، واستبدل أسم الشارع عقب ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بـ (القاهرة) .

ـ كان البغداديون حسب رواية الشالجي يكنون البقلاوة بـ (أحجار الجنة) !

. ليلة الرحيل

الرحيل ـ هنا ـ فعل بالقوة ـ القاهر للإرادة . وتجاوزا على ترتيبات الواقع . يصبح الرحيل مولّدا للشقاء الإنساني ، بصفته فعلاً مُملى ، آتٍ من خارج الذات ، متخطٍ لخيارات الصبيّ . إزاء ذلك فليس ثمة معادلات لهذا الحدث المفعم بالإيلام . ومن العبث قبول المماثلة بين مكانين ، أو استبدال أحدهما بالآخر .

. كوكب الرصافة

طبقاً للمنطق الصوري ، وبديهيات فيزياء

الميكانيك ، فأن المسافة بين الكرخ والرصافة ، تنطوي على زمان خاضع للقياس من نقطة الى أخرى فيما لم يُطق الصبيّ مثل هذه المعرفة الأولية ، أو قبول نتائجها على النحو المادي المحض .

فالمسافة القائمة بين نقطتين ، في منطق الطفولة مسافة (نفسية) ، تعني كوناً مفارقاً للفردوس المهدد بالزوال الأبدي ، مما يشق على الصبي أن ينفلت من حتمية الأمر الذي لا يُردّ وكأنه القضاء بعينه .

ولذلك فإن الرصافة ليست (الصوب الكبير) ، أو الخطوة التالية تجاه الضفة الأخرى من دجلة إنها تعني إقتلاع جذوره مرة واحدة والى الأبد بمجرد عبور (الجسر العتيق) ، دون أن تتاح لصبيّ مثلي حرية الاختيار ، أو المشاركة في القرار .. فلم يعد بوسعه إلا الاحتجاج الصامت .

. الحوتـــــة

ــ القمر في دنيانا الأولى لم يكن محض كوكــب بــارد ، إنه جــزء من بنائنا النفسي ، ولد معنا ، نشـــأنا وكبرنـــا بصحبتـــه صديقـــا أنيساً تحت عمـــود النـــور . أو رفيقـــا يهرول معنا في الطرقـــات .. وكائناً حيـــاً نناجيـــه ليـــالي الصيف المقمرة على السطوح ، وعندما يتوارى أو يغيـــب عنا ، تنطفىء ليالينـــا ، وتنفـــضّ مســـامراتنا ، ننتظـــر اوبته ، ونتوّق الى أنواره ، ومـــا أن نســـتعيده حتـــى يوقظ ضوؤه خيالاتنا المهوّمة ، رفقـــة الحكايـــا العبقـــة ، والشوق الآسر الى حديث جداتنا الطيبات .

ــ ولأن (الحوتـــة) مصـــدر خـــوف فـــي ذاكـــرة الصبية ، فأنها ايضاً مصدر الشر الذميم . من هنـــا كـــانت حماستنا الطفوليـــة فـــي الهتاف والاحتجاج ، والصخـــب الذي يحدثـــه قـــرع (الصوانـــي) ، ونحـــن نـــردد إهزوجـــة الحوتة ، إعتقـــاداً لا شـــعورياً ، في منـــاصرة

الخير (القمر) ، ضـد الحوتـة الشـريرة بالغـة القبـح والبشاعة :

ـ يا حوتة .. يا منحوتة ..

هدي كمرنه العالي ،

وان جان متهدّينه ... الخ ..

. فاطمـــة

ـ يصفها ابي . ((بأنها سيدة علوية من أهل الله) .

وفي ذاكرة أمي : ((امرأة مكشوف عنها الحجاب)) ؟!

عاشت طوال حياتها زاهدة في الدنيا ، تصوم الدهر ، لـم يفتها فرض صلاة منـذ طفولتها الأولى ، تؤمـن بـأن العالم كله خير ، وأن (حب) النـاس ، والوقـوف علـى حاجتهـم ، هو الأجـر الأعظـم ، وأن الجنـة مـأوى الفقـراء ! يتصل رحمها بابي (ابنـة عمـه) ، مـلأت طفولتـي قصصـاً وحلـوى ، أفاضـت علـى عالمنـا الصغيـر معرفة بالبـدو والصحراء وحكايـات الأوليـن .

يمتد حديثها على مدى الليالي ، بأسلوب عـــذب وعبـــارة موحيـــة ، وذاكـــرة نابهـــة ، تشـــدنا إليهـــا دومـــاً ، فنلوذ بهـــا فـــي الأمســـيات الشـــتائية الباردة ، نحتضـــن (منقلـــة) النار ، زودتنـــا وايقظـــت خيالنـــا بعـــادات الأقـــوام وتقاليد القبـــائل ، وحثـــت خيالنـــا بـــ الصـــور والمشاهـــد الجميلة الملوّنة ، المفعمـــة بـــالخير والحـــق وعذوبة الايثار .

ومن ميزات أسلوبها القصصي ، القدرة علـــى الابانـــة بعبارة بسيطة تلقائيـــة ، فتجســـد الأحـــداث تجســـيداً مدهشاً ، وكأننـــا نعايـــش حدثاً حقيقياً بكل ما يختلج فينـــا من إنفعالات وجدانيـــة . فنشعر بـــالتوتر النفســـي الـــذي يعانيـــه الأبطـــال .. فنلتحـــم بالمشهد ، ونصبـــح جـــزءاً منـــه ..

. الرازونـــــة

ــ حسب الألفـــاظ والمعانـــي (كوّة) صغيـــــرة فـــي الجدار .

ـ لكنهـا لـدى الصبيّ ، نافـذة روحيـة مشـرقة بالخير وبالهدايـا وبالكلمـة الطيبـة . تطـل منهـا الحاجـة (حمـدة المحنـة) لتلقـي علينـا السـلام والشكرات .

. المصقـول

ـ حبات من الحلوى بيضاء اللون ، صلبـة ، محشـوة باللوز ، لا تزال شائعة في هذا الزمن .

. الشـكرات

ـ حلـوى متنوعـة ، خليط مـن الحـامض حلـو ، وأصابع العـروس ، ضـرك العصفور ، جعب غـزال .... الخ .

مصادر التوثيق

١ــ *الكتب (الموسوعية)* .

أ) الاستاذ الباحث عزيز الحجية .

ــ بغداديات ــ سبعة أجزاء ــ بغداد .

ب) الاستاذ الباحث عبود الشالجي .

ــ موسوعة الكنايات العامية البغدادية ــ ٣ أجزاء ــ بيروت ١٩٨٣ .

ج) الشيخ جلال الحنفي البغدادي .

ــ معجم اللغة البغدادية ــ الجزء الثاني ــ بغداد ١٩٦٧ .

د) الاستاذ أنور عبدالحميد الناصري

سفره الموسوعي : (سوق الجديد) ــ ٣ أجزاء (١٩٩٠ ، ١٩٩٨ ، ٢٠٠٠) ، الى جوار قراءات أخرى .

٢ ـ حوارا ولقاءات مع الأصدقاء :

ـ العميد عبدالجبار عبدالرزاق .

ـ السيد عبدالمجيد عبدالرزاق .

ـ الراحل خليل سبتي العزاوي .

ـ السيد مزهر رشيد الطرقه .

ـ السيد عبدالأمير السعدي .

ـ السيد مؤيد العاني .

ـ السيد باسل العاني .

ـ السيد نزار جميل المشمش .

ـ السيد سامي العزاوي .

الفهرست

٩٢ / ٨١١
ر ٢٩٩ الراوي ، عبدالستار
فردوس الكرخ : يقظة أيام الطفولة
الأولى /عبدالستار الراوي : بغداد ــ دار
الشؤون الثقافية ، ٢٠٠١
٢٢٧ ص ، ٢٣ سم
١ــ الشعر العربي ــ العراق أ . العنوان
م . و
٢١٨ / ٢٠٠١

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٨) لسنة ٢٠٠١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة